المتَشَابَهُ اللَّفظِيّ في سُورَةِ "آلِ عِمْرَان"
دِرَاسَةٌ بَلاغِيَّةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ

الدكتورة

هند بنت جميل بن صالح نايثه

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

قسم اللغة العربية – كلية الأداب

جامعة الأميرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[1]

(١) سورة الزمر:(الآية: ٢٣).

المقـــدّمـــــة

الحمد لله منزل القرآن العظيم والسبع المثاني، أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني، منه آيات محكمات وأُخر متشابهات، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، محمـــد الأمـــين، وصحابته الغرّ الميامين، وآله الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لهداية النـــاس، وأيـــده بآيـــات بينـــات، ومعجزات باهرات، ومعجزته الكبرى: القرآن الكريم الذي تحـــدى بـــه العـــرب؛ أهـــل الفصاحة والبلاغة، فعجزوا عن محاكاته والإتيان بمثله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾(١)

ومن مظاهر بلاغة نظم القرآن وبراعة بيانه: ذلك التشابه اللفظي، أو تلك الجمل والآيات التي تتفق في بعض ألفاظها وكلماتها، مع مجيئها على أجمل صور البلاغة وأعجز وجوه البيان والفصاحة، إذ إن كل حرف وكلمة وجملة تشابهت مع غيرهـــا إنمـــا اقتضـــاها المقـــام، واستوجبها السياق، فلا يصلح غيرها في ذلك الموضع، يقول ابن الـــزبير الغنـــاطي:"ظن الغافل عن التدبّر والمخلَّد إلى الراحة عن التفكر؛ أن تخصيص كل آية من تلـــك الآيـــات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيرتها، ليس لسبب تقتضيه، وداع من المعنى يطلبه ويستدعيه، وأن ليس على جميع الوارد من ذلك محرزات من المعاني عند ذوي الأفهام، ومقتضيات من لوازم جليل التركيب، من ذلك المعجز العليّ من النظام، فلا يليق بكل من تلك المواضع إلا الوارد فيه، وأن تقرير وقوع آية منها في موضع نظيرتها ينافي مقصود ذلك الموضـــع"(٢).

---

(١) البقرة:(٢٣-٢٤).

(٢) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح:(ص:١٤٥)، دار الغرب الإسلامي-بيروت-، ط/الأولـــى ١٤٠٣

فهذا التشابه الكبير بين آي الذكر الحكيم لم يرد عبثاً ولم يأت لغواً، بل لحكم عظيمة، ودواع جليلة، يقول ابن قتيبة مفصحاً عن حكمة من تلك الحكم:"إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللَّقن (سريع الفهم) وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خَفِي، ولو كان القرآن كله ظاهرًا مكشوفًا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لَبَطَلَ التفاضُلُ بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة"(١).

ومن الحكم فيه –أيضاً– ما ذكره الزركشي حين قال:"وحكمته التصرف في الكلام والإتيان به على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأً به ومتكرراً"(٢).

وقد ألف العلماء قديماً في هذا العلم خدمةً لكتاب الله تعالى، غير أن جلّ مؤلفاتهم تنقسم إلى قسمين:

- قسم أشبه بالمعجم المفهرس للآيات المتشابهة، فيتناول المتشابه بذكره وسرده دون بيان الغرض من ذلك، وما فيه من جمال وبلاغة، وحسن نظم ونحوه.
- وقسم آخر يقوم بالتحليل والتعليل لذلك التشابه في التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والذكر ونحوه من وجوه التشابه، لكنه في نماذج محدودة وأمثلة معدودة من الآيات.

الدراسات السابقة قديما و حديثا

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر:(ص:٨٦)، دار الكتب العلمية، ط/الثالثة ١٤٠١هـ.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل:(١١٢/١)، عيسى البابي الحلبي، ط/الأولى:١٣٧٦هـ.

نشأت علوم كثيرة لخدمة كتاب الله تعالى، تبحث كل ما يتعلق به من علم تجويد وقراءات، وعلم رسم، وعلم إعجاز، وعلم مشكل القرآن، وعلم الناسخ والمنسوخ، وأصول التفسير، وغير ذلك من علوم القرآن الكثيرة التي أوصلها الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن إلى سبعة وأربعين نوعاً، ثم قال:"واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لا ستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره"(١). أوصلها الحافظ السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن إلى ثمانين نوعاً، ثم قال:"فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة وقفت على كثير منها"(٢).

وأما التشابه اللفظي فالمؤلفات فيه قليلة بالنظر إلى غيره من علوم القرآن الأخرى، ولذا يقول الغرناطي:"وإن من مغفلات مصنفي أئمتنا –رضي الله عنهم– في خدمة علومه، وتدبر منظومه الجليل ومفهومه، توجيه ما تكرر من آياته لفظا، أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير، فعسر إلا على الماهر حفظاً"(٣)، ومن الكتب المؤلفة فيه ما يلي:

أولاً– الكتب القديمة:

١– متشابه القرآن لعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٧هـ).

٢– حل الآيات المتشابهة لمحمد بن الحسن بن فورك (ت ٤٠٦هـ).

٣– درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ).

٤– البرهان في متشابه القرآن للكرماني (ت ٥٠٥هـ).

٥– هداية المرتاب للسخاوي (ت ٦٤٣هـ).

---

(١) البرهان في علوم القرآن:(١٢/١).

(٢) الإتقان في علوم القرآن:(٣٠/١).

(٣) ملاك التأويل:(ص:١٤٤-١٤٥).

٦- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ).

٧- كشف المعاني في المتشابه من المثاني (لبدر الدين ابن جماعه (ت ٧٣٣هـ).

٨- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لزكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ).

٩- كفاية القارئ للإمام الحارثي التتوي(ت ١١٧٤هـ).

ثانياً- الدراسات الحديثة:

كما أن هناك دراسات حديثة قامت حول هذا الموضوع، ورسائل علمية سجلت وأجيزت في بعض الجامعات، منها:

١- سبيلُ الإتقان في متشابه القرآن محمد نصر الدين محمد عويضة.

٢- الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد فواز بن سعد الحنين.

٣- كنز الحفاظ في متشابه الألفاظ لمحسن الترجمان

٤- دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل للدكتور فاضل السامرائي

٥- من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم للدكتور محمد علي الصامل.

٦- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية للدكتور صالح بن عبد الله الشثري، رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية – جامعة أم القرى.

٧- بلاغة المتشابه اللفظي في سورة التوبة للباحثة ريم بنت زيد بن عبد الرحمن القحيز، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية – جامعة الإمام.

ولذا كان من إتمام مسيرة السابقين دراسة المتشابه اللفظي في كل سورة أو في كل موضوع على حدة، وإسهاماً مني بجهد المقل، وإكمالاً لمسيرة هؤلاء العلماء الأجلاء في هذا الدرب المبارك لدراسة كتاب الله تعالى؛ أجلّ وأعظم ما أنفقت فيه الأعمار، أشارك بهذا البحث المتواضع بعنوان:

(المتشابه اللفظي في سورة آل عمران)

دراسة بلاغية تحليلية.

أهمية الموضوع:

وتظهر أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

١- أنه يتعلق بعلم من العلوم التي أُسست وأُنشئت لحفظ كتاب الله تعالى من اللحن والتحريف فيه.

٢- - أنه ضَرْبٌ من التفسير لكلام الله تعالى، فيكتسب أهمية من ذلك.

٣- أن فيه بيان لبعض وجوه إعجاز كتاب الله تعالى وأسرار بيانه وبديع نظمه.

٤- - فيه دلالة على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ تجلّت فيه الصور البلاغية البديعة، فسمعها العرب، ولم يستطيعوا معارضته مع تحدّيه لهم.

٥- - فيه رد على من زعم أن المتشابه تكرار يغني بعضه عن بعض؛ وذلك بإظهار بلاغته في متشابهه.

٦- فيه تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم:﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾(١).

٧- أن فيه تيسيراً لحفظة كتاب الله تعالى، من طلبة العلم والنشء الصغار؛ إذ يساعدهم على ضبط ما يلتبس منه من الألفاظ ويتكرر من الجمل.

خطة البحث:

وقد سلكت فيه الخطة التالية:

المقدِّمة؛ بينت فيها أهمية الموضوع وخطته ، و الدراسات السابقة قديما و حديثا.

التمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف المتشابه لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: بين يدي سورة آل عمران، وفيه المباحث التالية:

---

(١) هود:(١٢٠).

اسمها وسبب تسميتها بذلك.

سبب نزولها.

فضائلها.

موضوعاتها.

الخصائص البلاغية فى مواضع التشابه اللفظي في سورة آل عمران، وفيه:

ثلاث وعشرون موضعاً من مواضع التشابه

الخاتمة : وفيها أهم النتائج

الفهارس:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

التمهيد: تعريف المتشابه، بين يدي سورة آل عمران

المبحث الأول: تعريف المتشابه لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: بين يدي سورة آل عمران، وفيه:

اسمها وسبب تسميتها بذلك.

سبب نزولها.

فضائلها.

موضوعاتها.

المبحث الأول: تعريف المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

أولاً- تعريف المتشابه في اللغة:

المتشابه في اللغة اسم فاعل من التشابه، وهو التماثل والتشاكل والتلابس، يقال: تشابه الشيئان: أي: تماثلا وتشاكلا في وجه من الوجوه، قال ابن فارس: "الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشكّله لوناً ووصفاً"(١).

وفرّق الجوهري بين المشتبه والمتشابه فقال:"المشتبهات من الأمور: المشكلات والمتشابهات: المتماثلات"(٢). وقريب منه قول ابن منظور:"الشَّبه والشِّبْه والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ: ماثله، والمشتبهات من الأمور المشكلات، والمتشابهات المتماثلات وتشبه فلان بكذا والتشبيه التمثيل "(٣).

تعريف المتشابه اصطلاحاً:

للمتشابه معنى واسع، لكن المقصود هنا هو المتشابه اللفظي في القرآن الكريم الذي تتجلى فيه بلاغة القرآن وجمال نظمه، ومن أوضح التعاريف له ما نقله الطبري عن بعض المفسرين أن الْمُتَشَابِهِ هُوَ مَا اشْتَبَهَتِ الأَلْفَاظُ بِهِ مِنْ قَصَصِهِمْ عِنْدَ التَّكْرِيرِ فِي السُّوَرِ بَقِصَّة بِاتِّفَاقِ الأَلْفَاظِ وَاخْتِلافِ الْمَعَانِي، وَبِقِصَّةٌ بِاخْتِلاَفِ الأَلْفَاظِ وَاتِّفَاقِ الْمَعَانِي"(٤). وما ذكره الزركشي في البرهان بقوله:"هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة"(٥) ،

---

(١)معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون:(٢٤٣/٣)، دار الفكر، ط/ ١٣٩٩هـ.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار:(٢٢٣٦/٦)، دار العلم للملايين -بيروت-، ط/الرابعة ١٤٠٧ هـ .

(٣) لسان العرب لابن منظور:(٥٠٣/١٣)، دار صادر -بيروت-ط/الأولى.

(٤): تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تفسير القرآن:(١٩٧/٥)، دار هجر، ط/الأولى.

(٥) البرهان في علوم القرآن: (١١٢/١).

وتبعه السيوطي فقال:"والقصد به: إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، بأن تأتي في موضع واحد مقدماً وفي آخر مؤخراً، كقوله في البقرة﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾(١)، وفي الأعراف:﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾(٢)(٣)"، وفصّل العكبري فقال:"ومن المتشابه إيراد القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير والزيادة والترك والتعريف والتنكير والجمع والإفراد والإدغام والفك وتبديل حرف بحرف آخر"(٤).

ونخلص من هذه التعاريف: أن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: هو تشابه أو تماثل بين آيتين أو عدة آيات في حرف أو كلمة أو جملة أو جمل بسبب تقديم أو تأخير، أو تعريف وتنكير، أو حذف وذكر، أو جمع وإفراد ونحوه من وجوه التشابه، مع أو عدم اختلاف المعنى بين تلك الآيات بحسب سياق كل لفظة وجملة، ومقتضى كل مقام وموضع.

ثم إنه مما تجدر الإشارة إليه أن المفسرين اختلفوا في المراد من المتشابه في قوله تعالى ﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾(٥) ، على أقوال عدّة، ومنها:

١- أن المتشابه هو المتروك العمل بهن المنسوخات .

٢- هو: مَا أَشْبَهَ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْمَعَانِي وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهُ.

٣- هو: مَا احْتَمَلَ مِنَ التَّأْوِيلِ أَوْجُهًا.

---

(١) البقرة:(٥٨).

(٢) الأعراف:(١٦١).

(٣)الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:(٣٠٤/٢).

(٤) الكليات لأبى البقاء الكفومى، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري:(ص:١٣٦١)، مؤسسة الرسالة -بيروت-١٤١٩هـ.

(٥) آل عمران:(٧) .

٤- هُوَ مَا اشْتَبَهَتِ الأَلْفَاظُ بِهِ مِنْ قَصَصِهِمْ عِنْدَ التَّكْرِيرِ فِي السُّوَرِ بَقِصَّةٌ بِاتِّفَاقِ الأَلْفَاظِ وَاخْتِلافِ الْمَعَانِي، وَبقِصَّةٌ بِاخْتِلاَفِ الأَلْفَاظِ وَاتِّفَاقِ الْمَعَانِي.

٥- هو: مَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ إِلَى عِلْمِهِ سَبِيلٌ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ دُونَ خَلْقِهِ"(١).

فالثاني والرابع متقاربان وأن التشابه هو تماثل ألفاظه وائتلاف جمله وكلماته.

والثالث والخامس متقاربان -أيضاً- وهو أن التشابه معناه الخفاء، عاماً كان كما في الأول، أو خاصاً نسبياً كما في الثاني.

---

(١) تفسير الطبري:(١٩٢/٢-١٩٩).

المبحث الثاني بين يدى سورة آل عمران

اسمها وسبب تسميتها.
سبب نزولهـــا.
فضائلهـــا.
موضوعاتهـــا.

اسمها وسبب تسميتها.

اسمها:

سورة آل عمران من السور المدنيّة الطوال، ونزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة من الهجرة النبوية الشريفة، وعدد آياتها مائتا آية، وهي السورة الثالثة من حيث الترتيب في المصحف الشريف، ونزلت بعد سورة الأنفال" وتبدأ بالحروف المقطعة: (الم).

وتسمى هي وسورة البقرة بالزهراوين، وفي سبب تسميتهما بذلك ثلاثة أقوال:

الأول: إنهما النيرتان، مأخوذ من الزُّهْرة؛ لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما.

الثاني: وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة.

الثالث: سميتا بذلك لأنهما اشتركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم(١) .

وقيل: إن اسمها في التوراة: (طيبة) (٢) .

سبب تسميتها:

أما سبب تسميتها بـ "آل عمران" فهو لورود قصة أسرة "آل عمران" فيها، وعمران هو والد مريم أم النبي عيسى -عليه وعلى نبينا السلام-، واسمه عمران بن ماتان، وآله: هم زوجه حنة، وأختها زوجة زكريا النبي-عليه الصلام-، وزكريا كافل مريم؛ إذ كان أبوها عمران توفي وتركها حملاً، فكفلها زوج خالتها(٣)، ثم ما تجلّى في هذه الأسرة الكريمة من مظاهر القدرة الإلهية بولادة مريم البتول ابنها عيسى من غير أب.

---

(١) تفسير القرطبي المسمى: الجامع لأحكام القرآن لشمس الدين القرطبي، تحقيق سمير البخاري:(٣/٤)، دار عالم الكتب -الرياض-، ط/١٤٢٣هـ.

(٢) المصدر السابق:(١/٤).

(٣) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور لمحمد الطاهر بن عاشور:(٥/٣)، مؤسسة التاريخ العربي-بيروت-، ط/الأولى:١٤٢٠هـ.

سبب نزولها.

ذكر المفسرون(١) وأصحاب السير(٢) أن بداية هذه السورة إلى الآية الواحد والثمانون نزلت في وفد نجران من النصارى الذين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة، وكانوا ستين راكباً، وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثةُ نفر إليهم يؤول أمرهم؛ العَاقِب: أمير القوم وصاحب مشورتهم الَّذِي لا يُصدِرون إلا عَن رأيه، واسمه : عَبْد المسيح. والسيد : ثِمَالُهُمْ وصاحب رَحْلِهم، واسمه الأيهم. وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحَبرهم وإمامهم وصاحب مِدرَاسِهِمْ، وَكَانَ قَدْ شرف فيهم ودرس كُتبهم، حَتَّى حَسُن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم قَدْ شرَّفوه وموَّلوه، وبَنوا لَهُ الكنائس لعلمه واجتهاده، فقدموا عَلَى رَسُول الله – صلى الله عليه وسلم – ودخلوا مسجده حِيْنَ صلى العصر ، وعليهم ثياب الحِبرات جبابٌ وأردية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب، يَقُوْل بَعْض مَنْ رآهم مِنْ أصْحَاب رَسُول الله –صلى الله عليه وسلم–: ما رأينا وفداً مثلهم، وَقَدْ حانت صلاتهم، فقاموا وصلوا في مسجد رَسُول الله – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ رَسُول الله – صلى الله عليه وسلم–:((دعوهم)). فصلوا إلى المشرق، فكلم السيد والعاقب رَسُول الله – صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ لهما رَسُول الله – صلى الله عليه وسلم–:((أسلما)). فقالا: قد أسلمنا قبلك، قَالَ:((كذبتما؛ منعكما مِنْ الإسلام: دعائكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير))، قالا: إن لَمْ يَكُنْ عيسى ولداً لله، فمن أبوه؟ وخاصموه جميعاً في عيسى، فَقَالَ لهم النبي –صلى الله عليه وسلم–:((ألستم تعلمون أنه لا يكون ولدٌ إلا وهو يشبه أباه؟))، قالوا: بلى، قَالَ:((

---

(١) تفسير القرطبي:(٤/٤)، التحرير والتنوير:(٦/٣)، وأسباب النزول للواحدي، تحقيق ماهر الفحل:(١٢٨/٦-١٣٠).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرءوف سعد:(١١٣/٣)، دار الجيل –بيروت– ط/الأولى: ١٤١١هـ.

ألستم تعلمون أن ربنا حيٌّ لا يموت، وأن عيسى يأتي عَلِيهِ الموت والفناء؟)). قالوا: بلـــى، قال:((ألستم تعلمون أن ربَّنا قيِّمٌ على كل شي يحفظهُ ويرزقهُ؟))، قالوا: بلى، قال:((فهل يملكُ عيسى من ذلك شيئاً؟))، قالوا: لا، قال:((فإن ربنا صوَّر عيسى في الـــرحم كيـــف شاء، وربنا لا يأكل ولا يَشرب ولا يُحدث))، قالوا: بلى، قال:((ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل النساء، ثم وضعتهُ كما تضعُ المرأة ولدها، ثم غُذيَ كما يُغذى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟))، قالوا: بلى، قال:((فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟)). فسكتوا عند ذلك، فأنزل الله تعالى فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضـــعٍ وثمـــانين آيـــة منها".

فضائلها.

ورد في فضل هذه السورة الكريمة أحاديث كثيرة وآثار عديدة، نذكر منها ما يلي:

١- عن النواس بن سمعان –رضي الله عنه– قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:((يُؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمهم سورة البقرة وآل عمران. وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه و سلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما))(١).

٢- عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما))(٢).

٣- عن ابن عباس أنه نام عند ميمونة زوج النبي –صلى الله عليه و سلم– وهي خالته. قال فاضطجعت في عرض الوسادة. واضطجع رسول الله –صلى الله عليه و سلم– وأهله في طولها. فنام النبي –صلى الله عليه و سلم– حتى انتصف الليل أو قبله بقليل، أو بعده بقليل: استيقظ النبي –صلى الله عليه و سلم– فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده. ثم قرأ العشر آيات من آخر سورة آل عمران. ثم قام إلى شنّ معلّقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي)) (٣).

---

(١) صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة:(برقم:٢٥٣- ٥٥٤/١)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي –بيروت–.

(٢) المصدر السابق:(برقم: ٢٥٢-٥٥٣/١) .

(٣) سنن ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في كم يصلي بالليل؟:(برقم:١٣٦٣-٤٣٣/١)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر –بيروت–.

٤- وعن عثمان بن عفان قال:"من قرأ آخر سورة "آل عمران" في ليلة كتب له قيام ليلة"(١).

٥- ونقل القرطبي عن بعض السلف أنها كتر للصعلوك، قال الشعبي: قال عبد الله:"نِعم كتر الصعلوك :(سورة "آل عمران" يقوم بها في آخر الليل"(٢).

٦- وأنها أمان من الحيات(٣).

٧- وعن مكحول:"من قرأ سورة "آل عمران" يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل"(٤).

٨- وعن أبي السليل قال : أصاب رجل دماً، قال: فأوى إلى وادي مجنة وهو واد لا يمشي فيه أحد إلا أصابته حية، وعلى شفير الوادي راهبان؛ فلما أمسى، قال أحدهما لصاحبه: هلك والله الرجل! قال: فافتتح سورة "آل عمران"، قالا: فقرأ سورة طيبة؛ لعله سينجو. قال : فأصبح سليما"(٥).

---

(١) تفسير القرطبي:(٢/٤).

(٢) المصدر السابق:(٢/٤)، سنن الدارمي لأبي محمد الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي:(٥٤٤/٢)، دار الكتاب العربي -بيروت-، ط/الأولى: ١٤٠٧هـ. وشعب الإيمان للبيهقي، تحقيق الدكتور عبد العلي حامد:(١٩١/٤)، مكتبة الرشد -الرياض-، ط/الأولى:١٤٢٣هـ

(٣) تفسير القرطبي:(٢/٤).

(٤) تفسير القرطبي:(٢/٤).

(٥) المصدر السابق:(٢/٤).

موضوعاتها.

تعدّ سورة (آل عمران) من السور الطوال، ولذا اشتملت على موضوعات كثيرة ومتعددة، لكن أبرز تلك الموضوعات التي فصلت فيها السورة وركزت عليها هي الآتية:

١- تحدثت السورة عن أهم ركن في الإسلام، وهو توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته، وقد بدئت السورة بذلك في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦﴾[1]، وختمت كذلك ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١٨٩ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾[2].

وهناك آيات أخرى في ثنايا السورة وطدت هذه القضية المهمة في النفوس كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ

---

(١) آل عمران:(١-٦).

(٢) آل عمران: (١٨٩-١٩١).

﴿٢٧﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾(١).

٢- الحديث عن أسرة آل عمران واصطفاء الله لهم، وما منّ الله عليها من البركات، وخص بها من الفضائل العظيمة بدءاً من أم مريم الذي نذرت ما في بطنها لله تعالى، ومريم الذي اصطفاها الله وفضلها على نساء العالمين، ثم ابنها عيسى الذي خلقه الله من غير أب، وجعله نبياً ورسولاً من أولي العزم، وهي الآيات التالية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ

---

(١) آل عمران: (٢٦-٢٩).

(٢) آل عمران: (٣٣-٣٧).

﴿ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾(١) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾(٢).

٣- الحديث عن أهل الكتاب، والردّ على شبههم الباطلة، ومزاعمهم الكاذبة، وقد ركزت هذه السورة على الحديث عن النصارى، بعد أن فضحت البقرة اليهود، بل نزلت نصف آيات هذه السورة على وفد نجران النصراني، وقد بدأ الحديث عنهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾(٣) وعند قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾(٤)، واستمر ذلك إلى الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾(٥)، في أربعين آية متواصلة تدحض شبهاتهم وتكشف أباطيلهم في عيسى ابن مريم، وفي تلبيسهم على الناس، ثم ختمت الحديث عنهم بقوله: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾(٦)، وفيه تعليم للمسلمين صفة عالية وخلق رفيع؛ وهو الإنصاف والعدل للغير وإن

---

(١) آل عمران:(٤٢-٤٥).
(٢) آل عمران:(٥٩).
(٣) آل عمران: (١٩).
(٤) آل عمران: (٦١).
(٥) آل عمران: (١٠٠).
(٦) آل عمران: (١١٣).

كان عدواً. ثم أكدت السورة ذلك في خاتمتها :﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾(١)

٤- ومن الموضوعات المهمة والكبرى التي فصلت فيه السورة تفصيلاً مطولاً بدءاً من الآية ١٢١، إلى الآية ١٨٠، هو الحديث عن غزوة أحد، والدروس التي تلقاها المؤمنون من تلك الغزوة، فهم هزموا في أُحد بسبب عصيانهم لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد بدأ الله الحديث عن تلك القصة بقوله:﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾(٢)

وفضحت الآيات المنافقين المندسين في صفوف المسلمين، وما انطوت عليه قلوبهم من الحقد والكراهية والكيد للمجاهدين، وما تفوهوا به من الشماتة والتخذيل والتثبيط، ولذا كان من ثمرات غزوة أحد وفوائدها تمحص صفوف المسلمين، وتمييز الخبيث من الطيب، قال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾(٣) وقال تعالى:﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾(٤)

---

(١) آل عمران:(١٩٩).

(٢)آل عمران:(١٢١).

(٣) آل عمران:(١٤١).

(٤) آل عمران:(١٧٩).

كما أنها تضمنت مواساة للمسلمين وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم فإن أصابهم قرح فقد مس القوم قرح، وأن الأيام دول، وأن النصر لهم والله ناصرهم، وأن من مات منهم فالجنة مثواه ومأواه، وغير ذلك من الفوائد العظيمة التي استفاد منها المسلمون في هذه الغزوة.

٥- كما تناولت السورة الكريمة موضوعات أخرى مهمة للغاية، كالنهي عن موالاة الكافرين، ودعاء زكريا لربه، وبشارته بالولد في الكبر، والحديث عن البيت الحرام والركن الخامس من أركان الإسلام، والنهي عن أكل الربا، وختمت السورة بالحديث عما أعده الله للمؤمنين الصادقين الثابتين على الحق رجالاً ونساء، والدعوة إلى الصبر على الأذى في سبيله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(١).

---

(١) آل عمران:(٢٠٠).

الخصائص البلاغية فى مواضع التشابه اللفظي
في سورة آل عمران

الموضع الأول:﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾

ت	بداية الآية أو موضع الاستشهاد	نهايتها أو موضع الاستشهاد	السورة	رقم الآية
١	نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ	وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ	آل عمرن	٣
٢	هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ	وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ	آل عمران	٧
٣	وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ	وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ	النساء:	١١٣
٤	وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ	وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	النحل	٦٤
٥	أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ	إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	العنكبوت	٥١
٦	إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ	وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ	الزمر	٤١

التحليل البلاغي:

تتحدث الآيات الكريمات عن إنزال القرآن الكريم على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وإضافتها إلى محمد –صلى الله عليه وسلم– في قوله:{عليك} تنبيه على عظيم قدره، ورفع محله، وتتفق كلها على تقديم الظرف "عليك" على "الكتاب"، ولهذا التقديم ثلاثة أغراض بلاغية:

- بشارته –صلى الله عليه وسلم بتشريف الإنزال عليه.
- والتشويق إلى ما أُنزل؛ فإن النفسَ عند تأخير ما حقُّه التقديمُ لا سيما بعد الإشعار برفعة شأنِه أو بمنفعته تبقى مترقبةً له فيتمكن لديها عند ورودِه عليها فضلُ تمكُّنٍ.
- وليتصل به تقسيمه إلى قسميه:{مِنْهُ آيات}(١).

ومن الفروق بينها أن الآية الأولى جاءت بصيغة التضعيف: "نـزَّل"، فما فائدة هذا التضعيف، هل هو للتكرار والتكثير، فيفيد أن القرآن نزل منجماً ومفرقاً؟ أم أنه يفيد النقل لا التنجيم؟. فذهب إلى الأول الزمخشري ومن معه(٢)، حيث يقول:" فإن قلت:لم قيل:(نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ)، (وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ)؟ قلت: لأن القرآن نزل منجماً، ونزل الكتابان جملة"(٣)، وردّ عليه أبو حيان الأندلسي، وذهب إلى أن التضعيف يكون للتكثير إذا دخل على فعل متعدّي، أما اللازم فلا يفيده التكثير، بل يكون للنقل كهمزة النقل، بدليل قوله تعالى:{لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً}؛ لأن التضعيف دال على التنجيم والتكثير، وقوله:{جُمْلَةً واحِدَةً} ينافي ذلك. وأيضا فالقراءة بالوجهين في كثير مما جاء يدل على أنهما بمعنى واحد(٤). ويؤيده ابن عاشور بقوله:"فورود صدر الآية "نـزّل"

---

(١) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن العمادي أبو السعود: (٦/٢)، دار إحياء التراث العربي –بيروت–

(٢) ملاك التأويل:(ص: ٢٨٧).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشرى:(٣٣٦/١)، دار الكتاب العربي –بيروت–، ط/ ١٤٠٧ هـ

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسى: (١٦٧/١-١٦٨)، دار الفكر–بيروت–.

بالتضعيف، وآخرها "أنزل" بغير التضعيف، يؤذن بقوة الفعل في كيفيته أو كميته، وفائدته بيان عظم شأن القرآن مقارنة بغيره من الكتب(١).

ومن الفروق أيضاً أن آيتين من هذه الآيات وردت بصيغة القصر، وهي: الثانية والرابعة، فأما الثانية فهي قوله:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ } فالقصر فيه بضمير الفصل "هو"، ويفيد التأكيد والتخصيص والتقوية، علماً بأن الإنزال مرادف للوحي، والوحي لا يكون إلا من الله، فكان ذلك تأكيداً على تأكيد،(٢)، ثم الإتيان باسم الموصول"الذي" إنما هو لإرادة زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام، الذي هو التأكيد على أن هذا الكتاب منزل من عند الله، وليس من عند محمد، ولا من عند غيره.

والقصر الثاني في قوله تعالى:{ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ }وهو القصر بطريق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر وأوكده، ووجهه أنه قصر إنزال الكتاب على التبيان، قال ابن عاشور:"والإتيان بصيغة القصر في قوله تعالى:{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ} لقصد الإحاطة بالأهم من غاية القرآن وفائدته التي أنزل لأجلها، فهو قصر ادعائي؛ ليرغب السامعون في تلقيه وتدبره من مؤمن وكافر كل بما يليق بحاله حتى يستووا في الاهتداء"(٣)، وفي هذا القصر ردّ على من ظن أن القرآن أحاديث وقصص تحكى في المجالس والأسمار.

وجاءت الآيتان الخامسة والسادسة بالنواسخ "أنّ" و"إنّ" اللتين تفيدان التوكيد، مع مجيء اسم الجلالة بضمير الجمع المفيد للتعظيم، ثم الخبر بالجملة الفعلية المفيدة للتقوية والتوكيد،

---

(١) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشورلمحمد الطاهر بن عاشور:(٩/٣)، مؤسسة التاريخ العربي –بيروت–، ط/الأولى:١٤٢٠هـ.

(٢) المصدر السابق:(١٤/٣).

(٣) التحرير والتنوير:١٥٨/١٣).

قال ابن عاشور:"وافتتاح الجملة باسم الجلالة يؤذن بتفخيم أحسن الحديث المنزل؛ بأن منزله هو أعظم عظيم، ثم الإخبار عن اسم الجلالة بالخبر الفعلي يدل على تقوية الحكم وتحقيقه على نحو قولهم: هو يعطي الجزيل، ويفيد مع التقوية دلالة على الاختصاص،أي اختصاص تنزيل الكتاب بالله تعالى(١).

الموضع الثاني:﴿كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَادُهُم﴾

١	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا	وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ	آل عمران	١٠
٢	لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ	أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ	المجادلة	١٧

التحليل البلاغي:

في هذه الآيات بيان مآل الكافرين يوم القيامة وحتمية دخولهم النار وأنه لن يغنيهم أو ينفعهم في ذلك كثرة أموالهم وأولادهم، وابتدأت الأولى بجملة خلت عنها الثانية وهي قوله:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ }، فـ"إن" تفيد التأكيد على خبرها وهو:"لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئاً"، وأتي بالموصول "الذين" لزيادة التقرير والتأكيد على الخبر، وأتي بكلمة "كفروا" لكون هذه الآية جملة مستأنفة، بينما الآية الثانية سبقها الحديث عن الكفار في قوله:{ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم}.

والجزء الثاني من الآيتين ابتدأ باسم الإشارة "أولئك" لفائدتين بلاغيتين:

١- لاستحضارهم كأنهم بحيث يشار إليهم.

---

(١) المصدر السابق:(٢٤/٦٦).

٢- وللتنبيه على أنهم مستحقون بما سيأتي من الخبر(١)

ويلاحظ أن آية آل عمران جاءت بالوصل:{وأولئك}، وذلك لوجود المناسبة بين الجملتين، {إن الذين كفروا}و {أولئك هم..} حيث اتفقتا على الخبرية، وذلك من مواطن الوصل بين الجمل، قال الخطيب:"وإن لم يكن بين الجملتين شيء من الأحوال الأربع – يقصد: كمال الانقطاع، وكمال الاتصال، أو كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى، أو بمنزلة المتصلة بها – تعين الوصل؛ إما لدفع إيهام خلاف المقصود...وإما للتوسط بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتصال، وهو ضربان: أحدهما أن يتفقا خبراً أو إنشاء لفظا ومعنى كقوله تعالى:{إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم}"(٢)، ولعل الثانية فصلت عن الأولى في الآية الثانية لكونها جواباً عن سؤال، كأنه سئل عن علة عدم إغناء أموالهم وأولادهم؟ فقيل: لأنهم أصحاب النار. قال ابن عاشور:"وجملة:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} في موضع العلة لجملة:{لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً}، أي: لأنهم أصحاب النار، أي: حق عليهم أنهم أصحاب النار"(٣).

وفيه أن الآية الأولى أوجز من الثانية؛ حيث لم يذكر فيها "أصحاب" و"فيها خالدون". وتضمنتا –أيضاً– ضمير الفصل "هم" للتقوية والتوكيد، غير أن الأولى للتوكيد على كونهم وقوداً للنار، والثانية للتأكيد على خلودهم في النار.

---

(١) التحرير والتنوير:(٣٢/٣).

(٢) الإيضاح في علم البلاغة للخطيب القزويني:(ص:١٥٢). دار إحياء العلوم -بيروت-، ط/الرابعة:١٩٩٨م.

(٣) التحرير والتنوير:(٤٦/٢٨).

الموضع الثالث:﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾

١	كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ	وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ	آل عمران	١١
٢	كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ	إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ	الأنفال	٥٢
٣	كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ	وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟	الأنفال	٥٤

التحليل البلاغي:

تتفق الآيات على الجزء الأول منها، وهو قوله:{كدأب آل فرعون والذين من قبلهم}، وقد اختلف المفسرون في العامل في "كدأب" على أقوال عشرة(١)، لكن الذي يهمنا هنا هو التشبيه في قوله:"كدأب"، ووجهه أن دأب المشركين كدأب آل فرعون في تكذيبهم للرسل ومعاقبة الله لهم في الدنيا والآخرة، وخص فرعون وقومه لكونهم أكثر الأمم طغياناً وأشدهم عذاباً. قال أبو حيان:" لما ذكر أن من كفر وكذب باللّه مآله إلى النار ، ولن يغني عنه ماله ولا ولده ، ذكر أن شأن هؤلاء في تكذيبهم لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم،

(١) البحر المحيط:٣/٣٦-٣٧).

وترتب العذاب على كفرهم، كشأن من تقدّم من كفار الأمم، أخذوا بـــذنوبهم، وعـــذبوا عليها"(١)

ومن الفروق بينها ما يلي:

١-الاستعارة في قوله:{فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ}حيث شبه إحاطة العذاب بهم بالمأخوذ باليد المتصرف فيه بحكم إرادة الأخذ(٢).

٢-فصل جملة:{كذبوا} في الأولى والثالثة، و{كفروا} في الثانية عما قبلها، لكونها جواباً عن سؤال مقدّر (٣)، كأنه قيل: كيف كان دأبهم؟، فقيل: كذبوا بآيتنا(٤).

٣-في الآية الأولى التفات خلت عنها الباقيتان، وهو في قوله:{بآياتنا}، فانتقل من خطاب الغيبة في قوله:{لن تغني عنهم ولا أولادهم من الله شيئاً} إلى التكلم في قوله:{بآياتنا}(٥).

٤-آيتا الأنفال جاءتا عقب بعض، فهل يعد ذلك تكرير، وما فائدته؟ وما الفـــرق بـــين الآيتين؟ الجواب: قال قوم: هو تكرير للتأكيد، وقال ابن عطية: هذا التكرير لمعنى لـــيس للأوّل، فالأوّل دأبٌ في أن هلكوا لما كفروا، وهذا الثاني دأب في أن لم يغير نعمتهم حـــتى يغيّروا ما بأنفسهم انتهى. وقال قوم: كرّر لوجوه، منها: أن الثاني جرى مجرى التفصـــيل للأول؛ لأنّ في ذلك ذكر إجرامهم، وفي هذا ذكر إغراقهم، وأريد بالأول ما نزل بهم من العقوبة حال الموت، وبالثاني ما نزل بهم من العذاب في الآخرة، وفي الأوّل{بِآياتِ اللَّـــهِ} إشارة إلى إنكار دلائل الإلهية، وفي الثاني{بِآياتِ رَبِّهِمْ} إشارة إلى إنكار نعم مـــن ربّـــاهم ودلائل تربيته وإحسانه على كثرتها وتواليها. وفي الأوّل اللازم منه الأخـــذ، وفي الثـــاني

---

(١) البحر المحيط:(٣٦/٣).

(٢) البحر المحيط: (٣٩/٣).

(٣) المصدر السابق:(٣٨/٣).

(٤) تفسير أبي السعود:(١٠/٢).

(٥) البحر المحيط:(٣٨/٣).

اللازم منه: الهلاك والإغراق، وقال الزمخشري في قوله تعالى:{بِآياتِ رَبِّهِمْ} زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحقّ. وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب"(١)

٥-وفي الآية الثانية والثالثة خلاف مقتضى الظاهر لفائدة بلاغية، وذلك في قوله:{بآيات الله} في الآية الثانية، و{بآيات ربهم} في الثالثة، فأتى باسم الجلالة مظهراً لا مضمراً، وكان مقتضى الظاهر الإضمار لا الإظهار، كما في الأولى:{بآياتنا}، والنكتة في ذلك ما بينه ابن عاشور بقوله:"أما الإظهار هنا في مقام الإضمار فاقتضاه أن الكفر كفر بما يرجع إلى صفات الله، فأضيفت الآيات إلى اسم الجلالة ليدل على الذات بعنوان الإله الحق وهو الوحدانية، وأما الإضمار في آل عمران فلكون التكذيب تكذيبا لآيات دالة على ثبوت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فأضيفت الآيات إلى الضمير على الأصل في التكلم".(٢)

٦-من الفروق -أيضاً- أن الآية الثانية جاءت بالتأكيد بلفظ:"إن"؛ لأن القصد هنا التعريض بالمشركين الذين ينكرون قوة الله عليهم، وأنه شديد العقاب لهم، فأكد الخبر باعتبار لازمه التعريضي الذي هو إبلاغ هذا الإنذار إلى من بقي من المشركين، أما الأولى فلم يقصد بها إلا الإخبار عن كون الله شديد العقاب إذا عاقب، فهو تذكير للمسلمين وهم المقصود بالإخبار بقرينة قوله، عقبه:{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ}(٣).

٧-في الآية الثانية زيادة وصف هو قوله:"قويّ"، مبالغة في تهديد المشركين.

الموضع الرابع:﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ ﴾

١	قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ	وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ	آل	١٥

(١) الكشاف:٢/٢٣٠)، والبحر المحيط: (٥/٢٣٨).

(٢) التحرير والتنوير:(٩/١٣٤).

(٣) المصدر السابق:(٩/١٤٣).

	لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ	بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ	عمران	
٢	لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ	وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ	آل عمران	١٩٨
٣	لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ	وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ	الزمر	٢٠

التحليل البلاغي:

١- بدأت الآية الأولى باستفهام {أؤنبئكم بخير من ذلكم}، استئناف بياني، فإنه نشأ عن قوله:{زُيِّنَ لِلنَّاسِ} المقتضي أن الكلام مسوق مساق الغض من هذه الشهوات. وافتتح الاستئناف بكلمة {قُلْ} للاهتمام بالمقول، والمخاطب بقل: النبي صلى الله عليه وسلم. والاستفهام للعرض تشويقا من نفوس المخاطبين إلى تلقّي ما سيقص عليهم، كقوله تعالى:{هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}الآية. (١)

٢- في الآيتين الأخيرتين استدراك بـ"لكن"، التي تفيد الانتقال من قصة إلى قصة أخرى مخالفة لها، فلما ذكر أن تقلب الكفار في الدينا إنما هو متاع قليل، مصيره إلى جهنم، استدرك بـ"لكن" للإخبار عن المتقين بمقابل ما أخبر به عن المنافقين، فلهم مكان استقرار وهو الجنات، ثم الخلود فيها، فما أحسن موقع "لكن" في هذه الآية، حيث قابل

(١) التحرير والتنوير:(٤١/٣).

بها بين الفريقين وما أعطي لكل منهما. وكذا في الآية الثانية حيث تحدث عن الكفار الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ثم قال:{لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل}، ثم تحدث ما للفريق الآخر، فقال:{لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار}، مستدركاً ذلك بـ"لكن".

٣- في الآيات الثلاث مقابلة، وهي: أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب(١). ووجهها في الآية الأولى أنه تحدث عما أعطي للناس في الدنيا من متاعها من: شهوات النساء، والبنين، والمال والدواب، والحرث، ثم ذكر أن للمتقين في الآخرة ما هو أفضل من ذلك، فقوبل شهوات النساء بأزواج مطهرة، وقابل الحرث بـ"جنات تجري من تحتها الأنهار"، وزاد بأن لهم رضوان من الله. ولم يذكر ما يقابل البنين والأموال وغيرها لأنه ليس في الآخرة شيء من ذلك، قال ابن عاشور:"وقد ألغي ما يقابل شهوات الدنيا في ذكر نعيم الآخرة؛ لأن لذة البنين ولذة المال هنالك مفقودة، للاستغناء عنها، وكذلك لذة الخيل والأنعام؛ إذ لا دواب في الجنة، فبقي ما يقابل النساء والحرث، وهو الجنات والأزواج، لأن بهما تمام النعيم والتأنس، وزيد عليهما رضوان الله الذي حرمه من جعل حظه لذات الدنيا وأعرض عن الآخرة"(٢). ونحوه في الآيتين الباقيتين، ففي الثانية قابل "جهنم" بـ""الجنات"، ومتاع الحياة الدنيا بديمومة الخلود في الجنة(٣). وفي الثالثة قابل قوله:"لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل"، بقوله:"لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار".

٤- وردت الآية الأولى بلفظ:{للذين اتقوا عند ربهم}، والثانية والثالثة بلفظ:{الذين اتقوا ربهم لهم}، واللام في قوله:"للذين"، وفي قوله:"لهم" في الأخيرتين تفيد الاختصاص.

---

(١) الإيضاح:(ص:٣٢١).

(٢) التحرير والتنوير:(٣/٤٢).

(٣)البحر المحيط:(٣/٤٨٣).

والمعنى: أنها لهم في الجنة، أي: أعدت لهم في الجنة(١)، والفرق بينها زيادة "عند ربهم" في الأولى، فهل هذه العندية مجازية مستعملة في تحقيق الوعد(٢)؟ وأرى أن هذا خلاف الظاهر، وتأويل بدون دليل، بل ينافي ما قرروه من أنها تفيد التكريم والتشريف للمؤمنين، إذ كيف تفيد التشريف وهي مجاز غير مراد بها معناها المعروف المتبادر إلى الذهن؟، والأولى حملها على حقيقتها وأنها تدل على علوّ درجتهم وقربهم من الله. (٣)

الموضع الخامس: ﴿ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾

١	وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً	أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ	البقرة	٨٠
٢	ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ	وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ	آل عمران	٢٤

التحليل البلاغي:

تتحدث الآيتان عن موضوع واحد، وهو زعم اليهود بأنهم لن يدخلوا النار إلا أياماً قلائل، ثم رد الله على زعمهم وكذبهم.

ومن اللطائف البلاغية في هاتين الآيتين ما يلي:

١- العطف في الأولى وخلو الثانية منها، قيل: إنه من باب عطف جملة على جملة، عطفت جملة:{وقالوا لن تمسنا النار} على جملة:{وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ} فتكون حالا مثلها، أي: كيف تطمَعون أن يؤمنوا لكم وهو يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ويقولون: لن تمسنا

---

(١)التحرير:(٢٤/٥٧).

(٢) التحرير(١/٥٢٢.

(٣) تفسير السعدي المسمى: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق: (ص:١٥٦)، مؤسسة الرسالة، ط/الأولى:١٤٢٠هـ .

النار، وقيل: إنها عطفت على قوله:{يكتبون} إلخ، أي: فعلوا ذلك وقالوا:{لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ}(١)

٢- اختلاف الآيتين في وصفها "الأيام" بالقلة، فالأولى جاءت بالإفراد"معدودة"، والثانية بالجمع "معدودات"، فلم أنث الوصف مفرداً كان أو جمعاً؟ ثم لم اختلفت الآيتان في الإفراد والجمع ؟. فالجواب عن التساؤل الأول: أن وصف الأيام بالمعدود دليل على قلتها، لأن المراد بالمعدود: الذي يعده الناس إذا رأوه أو تحدثوا عنه. وسبب التأنيث هو أنه روعي فيهما تأويل الجمع بالجماعة، ولذا أنث صفة الجمع "معدودة" بناء على ذلك، وهي طريقة عربية مشهورة. (٢) أما الجواب عن الثاني: فيحتمل عدة أمور:

-أن الآية الأولى جاءت على تأويل الجمع بالجماعة، ولذلك أفرد الوصف مع تأنيثه. وفي الثانية أول الجمع بالجماعة، ولذا جمع مع تأنيثه. (٣)

-وقيل: إن قائلي ذلك من اليهود فرقتان: إحداهما قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام، وهي عدد أيام الدنيا. وقالت فرقة: إنما نعذب أربعين يوماً، وهي أيام عبادتهم العجل، فآية البقرة يحتمل قصد الفرقة الثانية، وآية آل عمران يحتمل قصد الفرقة الأولى. (٤)، وذكر ابن الزبير الغرناطي أن آية البقرة فيها إيجاز، فناسب الإفراد الإيجاز، وآية آل عمران فيها إسهاب وتفصيل فناسب الجمع الإطناب، فورد كل على ما يناسب ويجب(٥).

---

(١) التحرير والتنوير:(١/٥٦٠-٥٦١).

(٢) التحرير والتنوير:(١/٥٦١).

(٣) التحرير:(١/٥٦١).

(٤)كشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين بن جماعة، تحقيق د.عبد الجواد خلف:(ص:١٠٣)، دار الوفاء -المنصورة- ط/الأولى:١٤١٠هـ.

(٥) ملاك التأويل:(٢٢٤-٢٢٦).

٣- مما انفردت به الآية الأولى الاستفهام الإنكاري في قوله:{قل أتخذتم عند الله عهداً}، ثم الإيجاز في قوله:{فلن يخلف الله عهده}، حيث حذف فعل الشرط وتقديره: إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده. و"أم" في قوله:{أم تقولون على الله ما لا تعلمون} تحتمل أن تكون معادلة لهمزة الاستفهام، بمعنى: أي الأمرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما، وتحتمل أن تكون منقطعة، بمعنى: بل أتقولون، على سبيل التقرير والتقريع(١).

الموضع السادس: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾

١	فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ	وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ	آل عمران	٢٠
٢	وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ	فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ	المائدة	٩٢
٣	مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ	وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ	المائدة	٩٩
٤	فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ	وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ	الرعد	٤٠
٥	وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ	فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ	النحل	٣٥
٦	فَإِن تَوَلَّوْاْ	فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ	النحل:	٨٢

(١) تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصرالدين الشيرازي البيضاوي:(٣٥١/١)، دار الفكر -بيروت- والكشاف:(١٥٨/١).

٧	قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ :	وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ	النور	٥٤
٨	وَإِن تُكَذِّبُواْ	وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ	العنكبوت	١٨
٩	فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا	إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ	الشورى	٤٨
١٠	وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ	فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ	التغابن	١٢

التحليل البلاغي:

تتحدث الآيات الكريمات عن وظيفة الرسل –عليهم السلام– التي هي بلاغ رسالات الله، فمن تولى من البشر ولم يجبهم فليس عليهم هدايته هداية توفيق، ولا حسابه، وجاءت الآيات بصيغ مختلفة، وأساليب بلاغية متنوعة، ومن ذلك ما يلي:

١– آية آل عمران والرعد والنحل (٨٢)، والشورى جاءت بإيجاز شديد، فإضافة إلى ما يفيده القصر من إيجاز، فإنه لم يذكر فيها لفظ :"لرسل" أو"الرسول".

٢– جاء القصر في هذه الآيات بطريقين، خمس منها جاءت بطريق "إنما"، والخمس الأخرى بطريق النفي والاستثناء، والفرق بينهما أن النفي والاستثناء يستعمل مما يجهله المخاطب أو ينكره، وقد يترل المعلوم مترلة المجهول لاعتبار مناسب (١)، والنكتة في استخدامها هنا هو أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لما كان حريصاً على إسلامهم وهدايتهم، نُزِّل مترلة من يظن أنه يملك مع إبلاغهم الرسالة هدايتهم وإدخالهم في

(١) الإيضاح:(ص:١٢٣).

الإسلام، فقيل: إن عليك إلا البلاغ. أما طريق "إنما" فقد جاءت في هذه الآيات على أصلها، وهو استعمالها على ما يعلمه المخاطب ولا يجهله.

٣- والقصر في هذه الآيات الكريمات قصر إضافي غير حقيقي، لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- له صفات أخرى غير البلاغ، كالعبادات من الصلاة والجهاد وقيام الليل، وغير ذلك من التكاليف، وفي هذا رد على من زعم أن هذه الآيات منسوخة بآية السيف، لأن القصر إضافي، ينافي ما يضاد صفة البلاغ، من إنزال الآيات أو إحلال العقاب، ونحوه(١).

٤- والقصر في هذه الآيات -أيضاً- قصر موصوف على صفة، قصر الرسول -صلى الله عليه وسلم- على كون واجبه البلاغ.

٥- وجاءت الآيات الكريمات بلفظ "على" المستعمل للإلزام والإيجاب، مما يدل على أن ذلك واجب أوجبه الله على الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، أما قوله:{وعلينا الحساب} فليس بواجب على الله، وإنما هو شيء التزمه به(٢)

٦- الآية الأولى والثانية والسادسة والسابعة والعاشرة جاءت بذكر التولي، والتاسعة بالإعراض، والتولي هنا استعارة للعصيان، شبه العصيان بالإعراض والرجوع عن الموضع الذي كان به العاصي، بجامع المقاطعة والمفارقة. (٣)

٧- وقف الغرناطي عند زيادة "فاحذروا" واعلموا" في آية المائدة مقارنة بآية التغابن التي اتفقت معها في كل شيء إلا هذه الكلمات، فقال مجيباً:"والجواب عن ذلك -والله أعلم-: أن آية المائدة لما أعقب بها آية الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها، ثم اتبع بعد

---

(١)حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، المسماة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي لشهاب الدين الخفاجي:(٢٢٦/٧)، دار صادر -بيروت-

(٢)التحرير والتنوير:(٢٠٧/١٢).

(٣)المصدر السابق:(٢٠٢/٥).

ذلك بذكر العلة فى تحريمها، فقال تعالى:{إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر...}الآية، إلى قوله:{فهل أنتم منتهون} فختمت من التهديد بما يشعر بشديد الوعيد، ناسب ذلك قوله تأكيدا لما تقدم من الإشعار بمخوف الجزاء قوله:{فاحذروا} وقوله:{فإن توليتم فاعلموا} لما في ذلك من التأكيد لما تقدم. أما آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعى هذا التأكيد، ألا ترى الوارد فيها من قوله تعالى:{ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم} فلما لم يرد هنا نهي عن محرم متأكد التحريم بما اتبع النهى من التهديد والتأكيد لم يرد هنا من الزيادة المحرزة لمعنى التأكيد ما ورد هناك، فجاء كل على ما يجب ويناسب وليس عكس الوارد بمناسب والله أعلم"(١)

الموضع السابع:﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

١	لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ	وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ	آل عمران	٢٨
٢	ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ	فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا	النساء	١٣٩
٣	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ	أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا	النساء	١٤٤
٤	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ	المائدة	٥١

(١) ملاك التأويل:(٤٠٦-٤٠٧).

	ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ			
٥	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ	أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ	المائدة	٥٧
٦	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ	وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ	التوبة	٢٣
٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ	وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ	الممتحنة	١

التحليل البلاغي:

في هذه الآيات الكريمات النهي عن موالاة الكافرين واتخاذ أعداء الله أولياء من دون المؤمنين ولو كانوا أقرب الناس إلينا، غير أنها عبرت عن هذا المعنى بأساليب مختلفة، فجاءت الثانية بأسلوب الخبر:{الذين يتخذون الكافرين}، والحديث فيها عن المنافقين الذين يعادون المؤمنين، ويناصرون الكافرين، بينما أتت السبعة الباقية بأسلوب الإنشاء الطلبي، وهو: ما يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلّم وقت الطلب، ويدخل تحته: الأمر،

والنهي، والتحذير، والإغراء، والنداء، والتمنّي، والترجّي، والدعاء، والاستفهام"(١). وهذه الآيات كلها صريحة في النهي عن موالاة الكافرين، ما عدا الأولى التي أتت بصيغة النفي المراد به النهي. ومع أن بعض هذه الآيات نزلت في وقائع خاصة إلا إن المراد بها العموم، والخطاب لجميع المؤمنين، كما أن النهي فيها يشمل جميع الكفار، وإن كان ظاهر بعضها خاص بفئة من المشركين كاليهود والنصارى في الآية الرابعة، أو الذين يستهزئون بالمؤمنين في الخامسة، وكالآباء والإخوان الكفار في السادسة، ومما اختلفت فيه الآيات مما اقتضاه سياق كل آية، وناسبه كل مقام ما يلي:

١- ورد لفظ:"من دون المؤمنين" في الآيات الثلاث الأولى، بينما خلت منه الباقيات، وهو قيد زائد يدل على أن المنهي عنه هو موالاة الكافرين من دون المؤمنين لا موالاتهم مطلقاً، قال ابن عاشور في بيان معنى:{من دون المؤمنين}:"والمعنى: مباعدين المؤمنين، أي: في الولاية، وهو تقييد للنهي بحسب الظاهر، فيكون المنهي عنه اتخاذ الكافرين أولياء دون المؤمنين، أي: ولاية المؤمن الكفار التي تنافي ولايته المؤمنين، وذلك عندما يكون في تولي الكافرين إضرار بالمؤمنين"(٢). وقيل: لا مفهوم لقوله:{مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} لأن آيات كثيرة دلت على النهي عن ولاية الكافرين مطلقا، كقوله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا}(٣)

---

(١) البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حبنكة الميداني:(٢٢٨/١)، دار القلم- دمشق-، والدار الشامية -بيروت-، ط/الأولى:١٤١٦هـ.

(٢)التحرير والتنوير: (٧١/٣)

(٣)المصدر السابق:(٧١/٣).

٢- وقعت كلمة"أولياء" مفعول ثاني لـ"تتخذوا"، وقد تأخر موقعها في الآية الخامسة:{لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم..}، ولعل السبب في ذلك هو وصف الكافرين بما وصفوا:{من الذين أتوا الكتاب}.

٣- في بعض الآيات تكرار لا يوجد في البعض الآخر كما في الآية الأولى، حيث كرّر المؤمنين:{لا يتخذ المؤمنون} {من دون المؤمنين}، وكرر لفظ الجلالة، {فليس من اللّه}، {ويحذركم اللّه نفسه} {وإلى اللّه}(١)

٤- في الآية الأولى تجنيس في قوله:"تتقوا.. تقاة"(٢)

٥- وجملة:{إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} تذييل للنهي، وعموم القوم الظالمين شمل اليهود والنصارى، وموقع الجملة التذييلية يقتضي أن اليهود والنصارى من القوم الظالمين بطريق الكناية. والمراد بالظالمين الكافرون(٣).

٦- تضمّنت الآيات كلها التحذير من موالاة الكافرين، وبيان عقوبة ذلك في الدنيا والآخرة، لكن بطرق مختلفة، فجاءت الأولى تهدد بأن من فعل ذلك فليس من الله في شي، ثم كرر وأكد بالتحذير من الله بعثاً على الخوف من اللّه بامتثال أمره ونهيه. وفي الثانية بيان خسارة المنافقين في سعيهم، وأن ما يبتغونهم من موالاتهم الكفار هو العزة، ولن يجدوها عندهم، لأن العزة لله جميعاً، وفي الثالثة أُتي بالاستفهام الإنكاري للتوبيخ على ذلك، وفي الرابعة ذيلت بقوله:{إن الله لا يهدي القوم الظالمين}، فمن والاهم فهو بعيد عن الهداية، ومصيره مصير الظالمين، وفي الخامسة نفي الإيمان عنه:{إن كنتم مؤمنين}، وفي السادسة تصريح بما تضمنته الرابعة، وهو أن من يتولى الكفار فهو ظالم:{ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون}. وفي السابعة الحكم على من فعل ذلك بأنه من أهل الضلال عن

---

(١) البحر المحيط:(٣/١٠٤-١٠٥).

(٢)المصدر السابق:(٣/١٠٤-١٠٥).

(٣)التحرير والتنوير:(٥/١٣١).

سواء السبيل. فانظر كيف نوع الأسلوب، والغرض واحد هو النهي عن موالاة الكفار والتحذير من عاقبة ذلك، فما أجمل نظم القرآن، وأورع بلاغته وفصاحته!.

الموضع الثامن: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾

١	لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ	وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ	آل عمران	٢٨
٢	﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا	وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ	آل عمران	٣٠

التحليل البلاغي:

اتحدت الآيتان في نهاياتها في التحذير والتخويف من الله بنفسه، قال الطبري:"يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِذَلِكَ: وَيُخَوِّفُكُمُ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تَرْكَبُوا مَعَاصِيهِ أَوْ تُوَالُوا أَعْدَاءَهُ"(١). لكنه اختلف ما عقب بكل منهما، فقيل في الأولى:{وإلى الله المصير} وفي الثانية:{والله رءوف بالعباد}، فما سرّ اختلاف ذلك، قال ابن الزبير الغرناطي –رحمه الله–:"للسائل أن يسأل عن وجه تعقيب الأولى بقوله:{والى الله المصير}، وتعقيب الثانية بقوله:{والله رءوف بالعباد}، والجواب عن ذلك –والله أعلم–: أنه لما تقدم قبل الأولى قوله تعالى:{لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين}، فنهاهم –سبحانه– عن ذلك، ثم أردف بالتحذير بقوله:{ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء}، ثم استثنى –سبحانه– من ذلك حال التقاة فقال:{إلا أن تتقوا منهم تقاة}، ثم قال:{ويحذركم الله نفسه} –أي عذابه– {وإلى الله المصير} أي: ومرجعكم إليه، فلا يفوته هارب. فهذا كلام ملتحم جليل النظم والتنضيد، ثم أتبع هذا بإعلامه أنه –سبحانه– لا يخفى عليه شيء مما أكنوه أو أظهروه فقال:{قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في

(١) تفسير الطبري المسمى: جامع البيان في تفسير القرآن:(٥/٣٢٠). دار هجر، ط/الأولى

الأرض والله على كل شيء قدير}،... ثم أخبر بأنه لا يغادر من أفعال عباده صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فقال:{يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا}، ثم قال معيدا ومحذرا:{ويحذركم الله نفسه}، وأعقب بقوله:{والله رءوف بالعباد}، لما تقدم من التذكير والوعظ والبيان والتحذير المبنى على واضح الأمر والتبيان، وذلك إنعام منه سبحانه وإحسان يستجر خوف المؤمنين العابدين، فناسبه التعقيب بذكر رأفته بعباده رفقا بهم وإنعاما وتلطفا، فقال:{والله رءوف بالعباد}، ولم يتقدم قبل الأولى ما تقدم قبل هذه متصلاً بها، وإنما تقدمها النهى عن موالاة الكفار والتبري من مواليهم بالكلية، فناسبه ما أعقب به، وناسب هذه ما أعقبت به. والله أعلم(١).

الموضع التاسع:﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾

١	قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ	وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ	آل عمران	٢٩
٢	لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ	وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ	البقرة	٢٨٤

التحليل البلاغي:

في هاتين الآيتين الكريمتين بيان أن الباري مطلع على ما في الضمائر، لا يتفاوت علمه تعالى بخفاياها، ومرتب على ما فيها الثواب والعقاب إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. ومع ما بينهما من تشابه في اللفظ إلا أن هناك فروقاً بينهما، منها ما يلي:

---

(١) ملاك التأويل:(٢٩٦-٢٩٨).

١-تقدّم الإخفاء على الإبداء في الآية الأولى، بينما قدم الإبداء على الإخفاء في آية البقرة، والنكتة في ذلك ما ذكره أبو السعود في تفسيره حيث قال:"إذ لم يتعلق (الآية الثانية) بإشعار أن المحاسبةَ بما يُخفونه أولى منها بما يُبْدونه غرضٌ، بل الأمرُ بالعكس، وأما هاهنا فقد تعلق بإشعار كونِ تعلقِ علمِه -تعالى- بما يُسرّونه أولى منه بما يعلنونه غرضٌ مُهِمٌّ مع كونهما على السوية"(١)، وذكر ابن الزبير الغرناطي وجهاً آخر في ذلك، وملخصه أن الخطاب في آية آل عمران للمنافقين، الذين يخفون ويبطنون غير ما يظهرون للناس، كما قال تعالى:{يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك}، فأخبر -سبحانه- أنه يعلم ما يخفونه كعلمه ما يبدون. أما آية البقرة فلم يجر فيها ذكر النفاق ولا صفة أهله، وإنما الخطاب فيها وفى آية الدَّين قبلها وفيما أعقبت به بعدُ للمؤمنين فيما يخصّهم من الأحكام، فورد فيها قوله تعالى:{وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله}، مقدما فيها بادي أعمالهم بناء على سلامة بواطنهم، وتنزههم عن صفة المنافقين، ومنه قوله تعالى:{ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون}(٢).

٢-آية البقرة جاءت وفق مقتضى الظاهر حيث بدأ بذكر الأضعف وهو قوله:{وإن تبدوا}، ثم عطف عليه الأقوى وهو قوله:{أو تخفوه}، للترقي في الحساب" (٣)، أما آية آل عمران فجاءت على خلاف مقتضى الظاهر.

٣-اختلف جواب الشرط في الآيتين، فقيل في الأولى:{يعلمه الله}، وفي الثانية:{يحاسبكم به الله}، ولعل السبب في ذلك هو كون الخطاب في الأولى مع المنافقين الذين يظنون أن الله لا يعلم ما يخفونه، كما بينه الله تعالى في آيات كثيرة في كتابه، فناسب أن يقال

---

(١) تفسير أبي السعود:(١٥٨/٤).

(٢)ملاك التأويل:(٣٩-البقرة)

(٣)التحرير والتنوير:(٥٩٢/٢).

لهم:{يعلمه الله}، أما الآية الثانية فالحديث فيها مع المؤمنين، ولذا قيل لهم:{يحاسبكم بـــه الله} لأن الأصل أن المحاسبة تتعلق في الأمور البادية(١).

٤- في الآية الأولى- مجاز مرسل في قوله:{ما في صدوركم}، حيث عبر بالمحل عن الشيء في قوله : ما في صدوركم ، عبر بها عن القلوب (٢)

٥-وفي الآيتين طباق بين الإبداء والإخفاء في قوله:{وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه}.

الموضع العاشر: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾

١	قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ	وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ	آل عمران	٣٢
٢	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ	ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا	النساء	٥٩
٣	وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ	فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ	المائدة	٩٢
٤	وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ	وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	النور	٥٦
٥	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ	وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ	محمد	٣٣
٦	وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ	فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ	التغابن	١٢

(١)أبي السعود:(١١٨/١).

(٢)البحر المحيط: (١٠٤/٣-١٠٥).

التحليل البلاغي:

تتفق هذه الآيات الكريمات في الأمر بالطاعة لله –تعالى– ولرسوله –صلى الله عليه وسلم– ، إلا أن بينهما فروقاً وميزات تميزت بها كل منها، فما هي تلك الفروق وما الأسرار البلاغية في ذلك؟:–

١–جاءت الآيات بعطف طاعة الرسول –صلى الله عليه وسلم– على طاعة الله –تعالى– بإعادة فعل الطاعة فقيل:{وأطيعوا الرسول}، مع أن الواو كان يغني عنه، والسبب في ذلك التنبيه على أهمية طاعة الرسول واستقلاليتها، بخلاف طاعة أولي الأمر، قال ابن عاشور:"طاعة الرسول مساوية لطاعة الله؛ لأن الرسول هو المبلغ عن الله، فلا يتلقى أمر الله إلا منه، وهو منفذ أمر الله بنفسه، فطاعته طاعة تلق وطاعة امتثال؛ لأنه مبلغ ومنفذ، بخلاف أولي الأمر فإنهم منفذون لما بلغه الرسول فطاعتهم طاعة امتثال خاصة [١]. وقال في موضع آخر:"أعيد {أَطِيعُوا} لاختلاف معنى الطاعتين؛ لأن طاعة الله تنصرف إلى الأعمال الدينية، وطاعة الرسول مراد بها طاعته في التصرفات الدنيوية".[٢]. بخلاف الآية الأولى التي جاءت بغير إعادة:{أطيعوا}، جرياً على الأصل وما يقتضيه الظاهر.

٢–في الآية الرابعة اكتفى فيها:{وأطيعوا الرسول}، بخلاف الآيات الأخرى التي عطفت فيها طاعة الرسول على طاعة الله، ولعل السبب في ذلك ما يلي:

– ذكر الزمخشري أن قوله تعالى:{وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} معطوف على قوله تعالى:{قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول}، وإنما كررت طاعة الرسول تأكيداً على وجوبها[٣]، وأضاف البيضاوي على هذه العلة علة أخرى هي: لتعليق الرحمة بها،

---

(١)التحرير والتنوير:(١٦٥/٤).

(٢)التحرير:(٢٥٥/١٩).

(٣) الكشاف:٢٥٢/٣).

فقال:"فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول –صلى الله عليه وسلم– لتأكيد وتعليق الرحمة بها، أو بالمندرجة هي فيه بقوله:{لعلكم ترحمون}(١)

– ويرى ابن عاشور أن الخطاب هنا خاص بالمؤمنين لا بأمة الدعوة، وعليه فإن هذه الطاعة تختلف عن الطاعة المأمور بها في الآية التي قبلها، يقول:"والخطاب موجّه للذين آمنوا خاصة بعد أن كان موجها لأمة الدعوة على حد قوله تعالى:{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ}، فالطاعة المأمور بها هنا غير الطاعة التي في قوله:{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا}؛ لأن تلك دعوة للمعرضين وهذه ازدياد للمؤمنين"(٢).

الموضع الحادي عشر:﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾

١	قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي	عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ	آل عمران	٤٠
٢	قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ	قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ	آل عمران	٤٧
٣	قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا	قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ	مريم	٨، ٩
٤	قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا	قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ	مريم	٢٠، ٢١

(١) تفسير البيضاوي:(٤/١٩٨).

(٢)التحرير والتنوير:(١٨/٢٣١).

التحليل البلاغي:

هذه أربع آيات ثنتين منها في آل عمران، ومثلهما في سورة مريم، تتحدثان عن حالتين عجيبتين، وآيتين من آيات الله تدلان على قدرته تعالى وأنه إذا قضى أمراً قال له: كن، فيكون، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء. أما الحالة الأولى فهي بشارة الله –عز وجل– لنبيّه زكريا –عليه السلام– بالغلام مع كبر سنه وكون امرأته عاقراً، فاستغرب ذلك مستفهماً: أنى يكون لي غلام؟ فجاء جواب الملك مبيناً أن ذلك هين على الله وأنه يفعل ما يشاء ويقدر على كل شيء. أما الحالة الثانية فالأمر فيها أغرب وأعجب، إذ بشر الله مريم بنت عمران الولد من غير أب، فلا عجب في استفهامها وتبرؤها: أنى يكون لي ولد؟ فكان جواب الملك واحداً: أن الله يخلق ما يشاء، وهو على كل شيء قدير. ونقف مع هذه الآيات الوقفات التالية:

١–ما وجه الاستفهام في حالة زكريا مع سؤاله الله الولد، وهو لا يشك قطعاً في قدرة الله على ذلك؟. وأجيب عن ذلك بوجوه منها:

أحدها: أنه سؤال عن الكيفية، والمعنى: أيولد لي على سن الشيخوخة وكون امرأتي عاقرا؟ وكان قد بلغ تسعا وتسعين سنة، وامرأته بلغت ثمانيا وتسعين سنة.

الثاني: أنه لما بشر بالولد استعلم: أيكون ذلك الولد من صلبه نفسه أم من بنيه؟.

الثالث: أنه كان نسي السؤال، وكان بين السؤال والتبشير أربعون سنة.

الرابع: أن هذا الاستعلام هو على سبيل الاستعظام لقدرة اللّه تعالى ، يحدث ذلك عند معاينة الآيات وذلك من شدّة الفرح؛ لكونه كالمدهوش عند حصول ما كان مستبعدا له عادة.

الخامس: أنه إنما سأل لأنه كان عاجزا عن الجماع لكبر سنه، فسأل ربه: هل يقويه على الجماع وامرأته على القبول على حال الكبر؟

السادس : سأل هل يرزق الولد من امرأته العاقر أم من غيرها(١).

٢- جاءت الآية الأولى في قصة زكريا بلفظ:"وقد بلغني الكبر"، وفي الثانية بلفظ:"وقد بلغت من الكبر"، والفرق بينهما أن الأولى جاءت على طريق القلب، قال ابن عاشور:"وقوله:{وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ} جاء على طريق القلب، وأصله: وقد بلغت الكبر، وفائدته: إظهار تمكن الكبر منه، كأنه يتطلبه حتى بلغه كقوله تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ}(٢).

٣- في الآيتين الأخيرتين ما سمي بالأسلوب الحكيم، وهو: تلقي السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له(٣)، ووجهه في هاتين الآيتين ما بينه ابن عاشور بقوله:"وجواب الملك معناه: أن الأمر كما قلت، نظير قوله في قصة زكريا:{كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ}، وهو عدول عن إبطال مرادها من المراجعة، لا بيان هون هذا الخلق في جانب القدرة، على طريقة الأسلوب الحكيم"(٤).

٤- في قصة زكريا -عليه السلام- قدم في آية آل عمران ذكر بلوغه الكبر، بينما قدم في آية مريم{وكانت امرأتي عاقراً}، فما السر في ذلك؟ قال الغرناطي مجيباً عن ذلك:"والجواب عن ذلك والله أعلم: أن المعنى وإن كان في السورتين واحدا وفى قضية واحدة، فإن مقاطع آي وسورة مريم وفواصلها استدعت ما يجرى على حكمها ويناسبها من لدن قوله تعالى في افتتاح السورة:{ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا} إلى قوله في قصة عيسى -عليه السلام-:{والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا}، لم تخرج فاصلة منها عن هذا المقطع ولا عدل بها إلى غيره، ثم عادت إلى

---

(١) البحر٣/١٣٥-١٣٦).

(٢) التحرير والتنوير:(٣/٩٣).

(٣) الإيضاح:(ص:٧٦).

(٤)التحرير والتنوير:(١٦/٢٣).

ذلك من لدن قوله تعالى:{واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا } إلى آخر السورة، فاقتضت مناسبة آي هذه السورة ورود قصة زكريا –عليه السلام– على ما تقدم، ولم يكن غير ذلك ليناسب. أما آية آل عمران فلم يتقيّد ما قبلها من الآي وما بعدها بمقطع مخصوص فجرت هي على مثل ذلك والله أعلم"(١)

٥– في الآيتين الأوليين تقديم اسم الجلالة على العامل في قوله:{كذلك الله يفعل ما يشاء} وقوله:{كذلك الله يخلق ما يشاء}، قال أبو السعود:"قُدِّم على العامل لإفادة القصر بالنسبة إلى ما هو أدنى من المشار إليه، واعتبرت الكافُ مقحمةً لتأكيد ما أفاده اسمُ الإشارة من الفخامة". (٢).

الموضع الثاني عشر:﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾

١	ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ	وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ	آل عمران	٤٤
٢	تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ	مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ	هود	٤٩
٣	ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ	وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ	يوسف	١٠٢

التحليل البلاغي:

في هذه الآيات الكريمات بيان أن ما ذكره الله من قصص السابقين إنما هو وحي أوحاه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا دليل على نبوّته –صلّى اللّه عليه وسلّم–؛ إذ

(١) ملاك التأويل:(ص:٢٩٨-٢٩٩).

(٢)تفسير أبي السعود:(١/١٧١).

أخبر بغيوب لم يطلع عليها إلا من شاهدها، أو من قرأها في الكتب السابقة، أو من أوحى اللّه إليه بها. وقد انتفى العيان والقراءة، فتعين الثالث، وهو الوحي من اللّه تعالى (١). غير أن الملاحظ أن الآية الأولى والأخيرة جاءت باسم الإشارة "ذلك"، بينما وردت الثانية بـ"تلك"، فما سر هذا الاختلاف؟ الجواب: أن الإشارة في الآية الأولى هو ما سبقها من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام، أما الآية الثانية فجاءت بالإشارة بـ"تلك" إلى ما تقدم من خبر نوح عليه السلام، وتأنيث اسم الإشارة بتأويل أن المشار إليه القصة(٢). وقيل: الإشارة بـ"تلك" إلى آيات القرآن(٣).

الموضع الثالث عشر: ﴿ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

١	أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ	وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ	آل عمران	٤٩
٢	وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ	بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟	المائدة	١١٠

(١)البحر المحيط:(٣/١٤٩-١٥٠).
(٢)التحرير والتنوير:(١١/٢٧٥).
(٣)البحر المحيط:(٦/١٦٥)..

	وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ	مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ		

التحليل البلاغي:

تتحدث الآيتان عن موضوع واحد، هو ما منّ الله به على نبيه عيسى –عليه السلام– من الآيات والمعجزات، من: خلقه الطين كهيئة الطير ونفخه الروح فيها، وإبرائه الأكمه، والأبرص، وإحيائه الموتى بإذن الله. ومع هذا الاتحاد في الموضوع والغرض فبينهما –أيضاً– تشابه في أغلب ألفاظها، إلا أن هنالك اختلافات بتقديم وتأخير ونحوه، فنذكر منه مع بيان سره ما يلي:

١–تذكير الضمير في الأولى:{فأنفخ فيه فيكون}، وتأنيثه في الثانية:{فتنفخ فيها فتكون}، والجواب عن ذلك أن الضمير في الأولى للموصوف المحذوف الذي دلّت عليه الكاف، أي: شيئاً مقدراً مثل هيئة الطير(١)، قال الزمخشرى:"الضمير للكاف، أي: في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير، فيكون طيراً، أي: فيصير طائرا كبقية الطيور"(٢). أما قوله:{فتنفخ فيها} فقيل: يعود إلى الهيئة، وقيل: يعود إلى ما تقتضيه الآية ضرورة، أي: بدلالة الاقتضاء، وذلك أن قوله:{وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ} يقتضي صوراً أو أجساماً أو أشكالاً(٣)، وذهب الزمخشري إلى أن الضمير للكاف؛ لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها؛ لأنها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء"(٤).

---

(١) التحرير: (١٠١/٣).

(٢)الكشاف:(٣٦٤/١).

(٣)التحرير والتنوير:(٢٦١/٥).

(٤)الكشاف:(٦٩١/١).

٢-أما وجه إضافة:{بإذني} في آية المائدة إلى ضميره سبحانه، وإضافته إلى اسم الجلالة ظاهراً في آية آل عمران، فالنكتة فيه أن الضمير في الأولى راجع إلى الكاف وهو بمعنى المثل، والمثل مذكر، وفي الثانية راجع إلى الكاف من حيث هي في المعنى صفة، فروعي في الأولى الجانب اللفظي وفي الثانية المعنوي، قال ابن الزبير الغرناطي بقوله:"وعودة الضمير على اللفظ وما يرجع إليه أولى، وعودته على المعنى ثان عن ذلك، وكلا التعبيرين عال فصيح، فعاد في آية آل عمران على الكاف؛ لأنها تعاقب مثل، وهو مذكر، فهذا لحظ لفظي، ثم عاد في آية المائدة إلى الكاف من حيث هي في المعنى صفة؛ لأن المثل صفة في التقدير المعنوي، فحصل مراعاة المعنى ثانيا على ما يجب. وجواب ثان: وهو أنه قد ورد قبل ضمير آية آل عمران من لدن قوله تعالى:{وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم} إلى قوله:{فأنفخ فيه} نحو من عشرين ضميراً من ضمائر المذكر، فورد الضمير في قوله:{فأنفخ فيه} ضمير مذكر ليناسب ما تقدمه ويشاكل الأكثر الوارد قبله، أما آية العقود فمفتتحة بقوله تعالى:{اذكر نعمتي عليك} وخلقه الطائر ونفخه فيه من أجل نعمه -تعالى- عليه لتأييده بذلك فناسب ذلك تأنيث الضمير، ولم تكثر الضمائر هنا ككثرتها هناك فجاء كل من الآيتين على أتم مناسبة".(١).

٣-ووجه تكرير:{بإذني} في آية المائدة أربع مرات، وفي آية آل عمران مرتين؟ هو: أن آية آل عمران إخبار وبشارة لمريم بما منح لابنها عيسى عليه السلام وبمقاله عليه السلام لبنى إسرائيل تعريفا برسالته وتحديا بمعجزاته، وتبرؤا من دعوى استبداد، أو انفراد بقدرة في مقاله:{أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله}، إلى قوله:{إن في ذلك لآية لكم} ولم تتضمن هذه الآية غير البشارة والإعلام، وأما آية المائدة فقصد بها غير هذا، وبنيت على توبيخ النصارى وتعنيفهم في مقالهم في عيسى -عليه السلام- فوردت متضمنة عده -سبحانه-

---

(١)ملاك التأويل:(٣٠٢-٣٠٣).

إنعامه على نبيه عيسى –عليه السلام– على طريقة تُجارى العتب وليس بعتب تقريرا يقطع بمن وقع في العظيمة ممن عبده...ولذلك تكرر فيها ما تكرر مع الآيات قوله تعالى:{بإذني} وتكرر ذلك أربع مرات عقب أربع آيات مما خص به –عليه السلام– من خلق الطير، والنفخ فيه، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وهى من الآيات التي ضل بسببها من ضل من النصارى، وحملتهم على قولهم بالتثليث –تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا–، فأعلم الله –سبحانه وتعالى– أن تلك الآيات بإذنه، وأكد ذلك تأكيداً يرفع توهم حول أو قوة لغير الله سبحانه،....فآية آل عمران بشارة وإخبار لمريم وآية المائدة واردة فيما يقوله سبحانه لعيسى –عليه السلام– توبيخاً للنصارى كما بينا فلما اختلف القصدان اختلفت العبارتان(١).

الموضع الرابع عشر:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾

١	إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ	هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ	آل عمران	٥١
٢	وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ	هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ	مريم	٣٦
٣	إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ	هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ	الزخرف	٦٤

التحليل البلاغي:

في هذه الآيات الأمر بإفراد اللّه وحده بالعبادة، ومن الفروق بينها ما يلي:

١–جاءت الآية الثانية بواو العطف، وخلت منه الباقيتان، ويدخل فيها مسألتان: إحداهما: ما هو المعطوف عليه؟، وثانيتهما: لماذا وصل، ولم يفصل، وما بلاغة ذلك؟. أما المسألة الأولى ففيها خلاف(٢)، فقيل:

---

(١)ملاك التأويل:(ص:٣٠٠ وما بعدها).

(٢) البحر المحيط:(٧/١٦١-١٦٢).

- المعطوف عليه هو قوله:{قَوْلَ الْحَقِّ} في الآية التي قبلها.
- وخرجه الزمخشري على أن معناه: ولأنه ربي وربكم فاعبدوه، كقوله:{وَأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً. وهذا قول الخليل وسيبويه(١).
- وأجاز الفراء أن يكون معطوفا على:{والزكاة}، أي:{وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ وبأن اللّه ربي وربكم}وعلّق عليه أبو حيان فقال:"وهذا في غاية البعد للفصل الكثير"(٢).
- وقيل: هو معطوف على قوله:{أَمْراً} من قوله:{إِذا قَضى أَمْراً} والمعنى إذا قَضى أَمْراً وقضى إِنَّ اللَّهَ ربي وربكم.
- وقيل: الخطاب للذين خاطبهم عيسى بقوله:{إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ}، {وإن اللّه} معطوف على الكتاب.

أما المسألة الثانية فبينها ابن الزبير الغرناطي بقوله:"ورد هنا مورد الجمل التي كأنها مفصولة مما قبلها مع الحاجة إليها واتصال ما بعدها بما قبلها، فلم يكن بدّ من حرف النسق ليحصل منه أنه كلام غير منقطع بعضه من بعض ولا مستأنف، بل هو معطوف على ما تقدمه من كلام عيسى –عليه السلام– فلم يكن بدّ من حرف النسق لإحراز هذا الالتحام؛ إذ لم يكن ليحصل دون حرف النسق حصوله معه، فقيل:{وإن الله ربى وربكم} وهو حكاية قول عيسى متصلا من حيث معناه بقوله:{والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا} فالوجه عطفه عليه مع الحاجة إلى ما توسط الكلامين، فهذا وجه ورود الواو هنا، ولم يعرض في آية آل عمران فصل بين الآية وما قبلها يوهم انقطاعا، فيحتاج إلى الواو(٣).

---

(١)الكشاف: (١٥/٣).

(٢) البحر المحيط:(٢٦١/٧).

(٣)ملاك التأويل:(ص:٣٠٥ وما بعدها).

٢- السرّ في زيادة ضمير الفصل في الآية الثانية بخلاف الباقيتين، قال بدر الدين ابن جماعة :"أن آية آل عمران ومريم تقدم من الآيات الدالة على توحيد الرب تعالى وقدرته وعبودية المسيح له ما أغنى عن التأكيد، وفى الزخرف لم يتقدم مثل ذلك، فناسب توكيد انفراده بالربوبية وحده"(١). وقال الغرناطي:"وأما زيادة الضمير الفصلي في سورة الزخرف فيحرز بمفهومه معنى ضرورياً دعا إليه ما تقدم في الآية قبله، فلما كان قد تقدم في سورة الزخرف ذكر آلهتهم وقولهم:{ءآلهتنا خير أم هو} يعنون المسيح ناسبه ما أعقبه به من قوله تعالى حاكيا عن المسيح -عليه السلام-:{إن الله ربى وربكم}، فكأن قد قيل: هؤلاء غيره، فأحرز {هو} هذا المعنى، ولم يَرِد في آية آل عمران وآية مريم من ذكر آلهتهم ما ورد هنا، فلم يحتج إلى الضمير المحرز لما ذكرناه"(٢).

الموضع الخامس عشر:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾

١	وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ	قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ	البقرة	١٢٠
٢	وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ	دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ	آل عمران	٧٣
٣	قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا	قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ	الأنعام	٧١

(١)كشف المعاني في المتشابه من المثاني:(ص:١٢٩).
(٢)ملاك التأويل:(ص:٣٠٨-٣٠٩).

التحليل البلاغي:

تتفق الآيات على التأكيد بأن الهدى هو هدى الله لا هدى غيره، وفيها من وجوه التأكيد على ذلك ما يلي:

- "إن" الدالة على التأكيد.
- والقصر بتعريف الجزءين: "هو الهدى".
- وضمير الفصل في الأولى والثالثة "هو الهدى".
- وتعريف المسند إليه باللام في الثانية "إن الهدى".

والفرق بينهما: تقديم "هدى الله" في الآية الأولى والثالثة لأجل التوكيد، وكذا التأكيد بضمير الفصل فيهما.

الموضع السادس عشر: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾

١	إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ	وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	البقرة	١٧٤
٢	إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ	وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	آل عمران	٧٧

التحليل البلاغي:

في هذه الآيات الوعيد الشديد والتحذير من عمل أهل الكتاب الذين كتموا ما أنـــزل الله، واشتروا به ثمناً قليلاً، من العذاب والإهانة في يوم القيامة.

١- وامتازت الآية الأولى بقوله:{ما يأكلون في بطونهم إلا النار}، وفيه أقوال عدة:

- فمن المفسرين من حمله على ظاهره، وقال: إن ذلك يكون في الدنيا، وإن الرشوة الـــتي يأكلونها تصير في أجوافهم نارا، فلا يحسون بها إلا بعد الموت، ومنع تعالى أن يدركوا أنهـــا نار؛ استدراجا لهم.

- وقيل: إن ذلك حقيقة أيضاً، ويكون في الآخرة، واختلفوا فقيل: جميع ما أكلوه مـــن السحت والرشوة في الدنيا يجعل ناراً في الآخرة، ثم يطعمهم اللّه إياه في النار. وقيل: يـــأمر الزبانية أن تطعمهم النار ليكون عقوبة الأكل من جنسه.

- وذهب جمع على تأويل قوله:{ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ}، علـــى معـــنى: أنهـــم يجازون على ما اقترفوه من كتم ما أنزل اللّه، والاشتراء به الثمن القليل، بالنار، وإن مـــا اكتسبوه بهذه الأوصاف الذميمة مآله إلى النار. (١)، وهذا من المجاز المرسل تسمية للشيء باسم ما يؤول إليه، قال الخطيب:""المجاز المرسل: هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيـــه وما وضع له ملابسة غير التشبيه،... وهذا الضرب من المجاز يقع على وجوه كثيرة، منها: تسمية السبب باسم المسبب كقوله تعالى:{إنما يأكلون في بطونهم ناراً}(٢).

- وقيل هو مجاز عقلي في تعلق الأكل بالنار وليست هي له، وإنما له سببها أعنى الرشـــوة، قال التفتازاني: وهو الذي يوهمه ظاهر كلام "الكشاف" لكنه صرح أخيرا بغيره(٣).

---

(١)البحر المحيط:(٢/١٢١).

(٢)الإيضاح:(ص:٢٥٤ وما بعدها)..

(٣)التحرير والتنوير:(٢/١٢٢).

٢- وعبر بالأكل، مع أن المنهي عنه هو جميع وجوه الانتفاع؛ لأنه أعظم منافع ما تصرف فيه الأموال. (١)، وهو مستعار للانتفاع، قال ابن عاشور:"والأكل مستعار للانتفاع مع الإخفاء، لأن الأكل انتفاع بالطعام وتغييب له، فهو خفي لا يظهر كحال الرشوة"(٢).

٣- وذكر في بطونهم؛ إما على سبيل التوكيد؛ إذ معلوم أن الأكل لا يكون إلا في البطن، فصار نظير:{وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ}. أو كناية عن ملء البطن؛ لأنه يقال: فلان أكل في بطنه، وفلان أكل في بعض بطنه. أو لرفع توهم المجاز، إذ يقال: أكل فلان ماله، إذا بذره، وإن لم يأكله. وجعل المأكول النار، تسمية له بما يؤول إليه، لأنه سبب النار(٣).

٤- وفي الآيتين مقابلة من حيث المعنى، لا من حيث الترتيب اللفظي، قال أبو حيان:"وهذه الآية جاءت من هذا القبيل. لما ذكر تعالى اشتراءهم الثمن القليل، وكان ذلك كناية عن مطاعمهم الخسيسة الفانية، بدأ أولا في الخبر بقوله:{ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ}. ثم قابل تعالى كتمانهم الدين، بقوله تعالى:{وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ}، فَجُوزوا على منع التكلّم بالدين: أن منعوا تكليم اللّه إياهم، وابتنى على كتمانهم الدين واشترائهم بما أنزل اللّه ثمناً قليلاً: أنهم شهود زور وأخبار سوء، فقوبل ذلك كله بقوله:{وَلا يُزَكِّيهِمْ}. ثم ذكر أخيرا ما أعد لهم من العذاب الأليم، فرتب على اشتراء الثمن القليل قوله:{ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ}، فبدأ أولاً: بما يقابل فرداً فرداً، وثانيا: بما يقابل المجموع. ولما كانت الجملة الأولى مشتملة على فعل مسند إلى اللّه، كان الكلام الذي قابلها فيه فعل مسند إلى اللّه. ولما كانت الثانية مسندة إليهم، ليس فيها إسناد إلى اللّه، جاءت الجملة المقابلة لها مسندة إليهم، ولم يأت ما يطعمهم اللّه في بطونهم إلا النار(٤).

---

(١)البحر المحيط:(١٢١/٢).

(٢)التحرير والتنوير:(١٢٢/٢).

(٣) البحر المحيط:(١٢١/٢).

(٤) المصدر السابق:(١٢٣/٢)..

الموضع السابع عشر:﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾

١	قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ	وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ	البقرة	١٣٦
٢	قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ	وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ	آل عمران	٨٤

التحليل البلاغي:

الخطاب في الآية الأولى للمسلمين رداً على قول أهل الكتاب لهم في الآية التي قبلها:{كونوا هوداً أو نصارى}، والآية الثانية للنبي –صلى الله عليه وسلم–، فاختلفت الألفاظ باختلاف المخاطب والمقصود من الخطاب. قال ابن جماعة:"جوابه: لما صدّر آية البقرة بقوله:{قُولُوا} وهو خطاب المسلمين ردا على قول أهل الكتاب:{كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى}، قال:{إلينا}. ولما صدر آية آل عمران بقوله:{قل} قال:{علينا}. والفرق بينهما: أن "إلى" ينتهي بها من كل جهة، و"على" لا ينتهى بها إلا من جهة واحدة، وهي: العلو. والقرآن يأتي المسلمين من كل جهة يأتي مبلغه إياهم منها، وإنما أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– من جهة العلو خاصة، فحسن وناسب قوله: {علينا} لقوله:{قل} مع فضل تنويع الخطاب، وكذلك أكثر ما جاء في جهة النبي –صلى الله عليه وسلم– بـ(على)، وأكثر ما

جاء في جهة الأمة بـــ(إلى) [١]. وقال الغرناطي:"{قولوا} أمر لجميع المخاطبين المقصودين بهذا، وأما قوله:{قل} فأمر للنبي -عليه السلام-، فلحق ضمير الجمع أولاً لخطـــابهم، ولم يلحق ضمير في الثاني لإفراد الخطاب وضمير الواحد لا يبرز[٢].

وأجاب -أيضاً- عن الزيادة في آية البقرة:{وما أوتى النبيون من ربهم}، وسقوط ذلك في سورة آل عمران:{والنبيون من ربهم}، فقال:"وجه ذلك: أن الأمر في البقـــرة لمـــا كـــان للرسل وللمؤمنين ناسبه تأكيد ذكر الإنزال على النبيين؛ لأن المؤمنين لا يفرقون بين أحـــد منهم، وقد فرّق غيرهم، فناسب حالهم وسجل إيمانهم بالجميع تأكيـــدَ مقـــالهم وتثبيـــت اعتقادهم. فقالوا:{وما أوتى النبيون من ربهم}، ولما كان توجه الأمر في الآيـــة الأخـــرى ببادي الخطاب من قوله:{قل} خاصا به، وبعد ذلك وقع التعميم ناسبه عدم التأكيد لـــتتره الرسول -عليه السلام- حالاً ومقاماً عن التفريق بين أحد من الرسل"[٣].

الموضع الثامن عشر:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ ﴾

١	إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ	وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ	البقرة	١٦٠
٢	إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ	فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	آل عمران	٨٩
٣	إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ	فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	النساء	١٤٦

(١)كشف المعاني:(ص:١٠٧-١٠٨).

(٢)ملاك التأويل:(ص:٢٣٨ وما بعدها).

(٣)ملاك التأويل:(ص:٢٤٠).

	دِينَهُمْ لِلَّهِ	أَجْرًا عَظِيمًا		
٤	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ	فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	المائدة	٣٤
٥	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا	فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	النور	٥

التحليل البلاغي:

في هذه الآيات الكريمات التأكيد على فضل الله ورحمته على عباده حيث يعفو ويصفح عمن يتوب ما لم يغرغر، أو تطلع الشمس من مغربها. وقد اختلفت ألفاظها نظراً لسياق كل واحدة وما تتحدث عنه، ومن ذلك ما يلي:

١-جاءت الزيادة في الآية الأولى:{وأصلحوا وبينوا} لأن هذه الآية استثناء من قوله:{إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات}، فجعل الله لتوبتهم شرطاً وهو: بيان ما كتموه من الحق، فكانت هذه الزيادة مناسبة لهذا السياق، قال ابن عاشور:"وهو استثناء حقيقي منصوب على تمام الكلام من:{الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا}. وشرطٌ للتوبة أن يصلحوا ما كانوا أفسدوا، وهو بإظهار ما كتموه، وأن يبينوه للناس، فلا يكفي اعترافهم وحدهم، أو في خلواتهم، فالتوبة هنا: الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم-؛ فإنه رجوع عن كتمانهم الشهادة له الواردة في كتبهم... وإنما زاد بعده:{وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا}؛ لأن شرط كل توبة أن يتدارك التائب ما يمكن تداركه مما أضاعه بفعله الذي تاب عنه"(١).

٢-جاءت زيادة:{من بعد ذلك} في الآية الثانية و الأخيرة؛ لأن الحديث في الأولى مع الكفار الذين ارتدوا عن دين الله، ولذا قال:{مِنْ بَعْدِ ذلِكَ}، أي: من بعد ذلك الارتداد

---

(١)التحرير والتنوير:(٢/٧٠-٧١).

وذلك الكفر العظيم(١). وأما الثانية فالحديث فيها مع الزواني، فأشار بقوله:{من بعد ذلك} أي من بعد الزنى.

٣- وخصصت الرابعة بقوله:{من قبل أن تقدروا عليهم}، لأن الحديث كان مع المحاربين والقاطعين، فبين الله تعالى أن توبتهم مقبولة ما لم يقبض عليهم وهم في الجرم المشهود، فإذا تابوا قبل القبض عليهم قبلت توبتهم، وإلا فعليهم الحدّ تعزيراً.

٤-وما اشترط في الآية الثالثة من الإصلاح بعد التوبة والاعتصام بالله وإخلاص الدين له، سببه أنها خاصة بالمنافقين، قال أبو حيان:"لما كان المنافق متصفا بنقائص هذه الأوصاف من الكفر وفساد الأعمال والموالاة للكافرين والاعتزاز بهم والمراءاة للمؤمنين، شرط في توبتهم ما يناقض تلك الأوصاف، وهي: التوبة من النفاق. ثم فصل ما أجمل فيها، وهو الإصلاح للعمل المستأنف المقابل لفساد أعمالهم الماضية، ثم الاعتصام باللّه في المستقبل، وهو المقابل لموالاة الكافرين والاعتماد عليهم في الماضي، ثم الإخلاص لدين اللّه، وهو المقابل للرياء الذي كان لهم في الماضي، ثم بعد تحصيل هذه الأوصاف جميعها أشار إليهم بأنهم مع المؤمنين(٢).

الموضع التاسع عشر:﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾

١	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ	يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ	آل عمران	١٠٠
٢	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ	يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ	آل عمران	١٤٩

(١)البحر المحيط:(٣/٢٥٣).

(٢)المصدر السابق:(٤/١١٣-١١٤).

التحليل البلاغي:

في هذه الآيات النهي عن موالاة الكفار، وأن من والاهم وأطاعهم ووثق فيهم ردوه على عقبه فباء بالويل والخسران المبين.

والملاحظ أن الآية الأولى فيها تخصيص في قوله:{فريقاً من الذين أوتوا الكتاب}، بينما لم يرد ذلك في الثانية، والسبب في ذلك: أنها نزلت في فئة خاصة من اليهود سعوا في إشعال الفتنة بين الأوس والخزرج، قال البيضاوي:"نزلت في نفر من الأوس والخزرج، كانوا جلوساً يتحدثون، فمرّ بهم شاس بن قيس اليهودي، فغاظه تألفهم واجتماعهم، فأمر شاباً من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث، وينشدهم بعض ما قيل فيه، وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس، ففعل، فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا، وقالوا: السلاحَ السلاحَ، واجتمع مع القبيلتين خلق عظيم، فتوجه إليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وقال: أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وألّف بين قلوبكم، فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح واستغفروا، وعانق بعضهم بعضاً، وانصرفوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإنما خاطبهم الله بنفسه بعدما أمر الرسول بأن يخاطب أهل الكتاب إظهاراً لجلالة قدرهم، وإشعاراً بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم الله ويكلمهم(١). أما الآية الثانية فالخطاب فيها عام يتناول أهل أحد وغيرهم(٢).

وفي قوله:{يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين} تشبيه، شبّه الرجوع عن الدين بالرجع القهقرى، والذي حبط عمله بالكفر بالخاسر الذي ضاع ربحه ورأس ماله، وبالمنقلب الذي يروح في طريق ويغدو في أخرى.وقيل: هذا كله استعارة(٣).

---

(١) تفسير البيضاوي:(٢/٧٢).

(٢) البحر المحيط:(٣/٣٧٥).

(٣)المصدر السابق:(٣/٣٨١).

الموضع العشرون:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾

١	وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ	وَضُرِبَتْ عَلَيْهِـمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْـكَنَةُ	البقرة	٦١
٢	ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ	وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ	آل عمران	١١٢

التحليل البلاغي:

قال في الآية الأولى:{وضربت عليهم الذلة والمسكنة}، وفي الثانية قال في أولها:{ضربت عليهم الذلة} وفي آخرها:{وضربت عليهم المسكنة}، والنكتة في ذلك ما ذكره الغرناطي بقوله:"أنهم لما سألوا في البقرة عن مأكلهم وما يستلزم الذلة والصغار والمهانة في التوصل إلى الانتفاع به، وذلك ما طلبوه في قولهم:{فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها}، عوضا مما لا تكلف فيه ولا مشقة من المن والسلوى الذي كان ينزل عليهم عند الحاجة بغير مؤنة، ولهذا قيل لهم:{أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير} فلما سألوا ما يستلزم مهانة النفس ودناءة الحال لما أجرى به الله تعالى العادة من أن الذي سألوه لا يتوصل إليه إلا بتكلف ومشقة، فلما سألوا ما حاصله خسة وامتهان ناسب ذلك أن يناط به وينبئ عليه ذكر ضرب الذلة والمسكنة عليهم، ثم أعقب ذلك ما باؤوا به من غضب الله الذي سبق به القدر عليهم، ونعوذ بالله من غضبه. ولما تقدم في آل عمران قوله تعالى:{لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون} ناسب هذا تقديم ما لا نصرة لهم معه ولا فلاح، وهو ما باؤوا به من غضب الله عليهم، فقال تعالى:{وباؤوا بغضب من الله}" فجاء كل على ما يناسب ويلائم والله أعلم بما أراد. (١).

---

(١)ملاك التأويل:(ص:٢١٣-٢١٤).

وقوله: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ} استعارة مكنية؛ إذ شبهت الذلة والمسكنة في الإحاطة بهم واللزوم، بالبيت أو القبة يضربها الساكن ليلزمها، وذكر الضرب تخييل؛ لأنه ليس له شبيه في علائق المشبه. ويجوز أن يكون ضربت استعارة تبعية، وليس ثمة مكنية، بأن شبه لزوم الذلة لهم ولصوقها بلصوق الطين بالحائط"(١).

الموضع الحادي والعشرين: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾

١	وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم	بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ	آل عمران	١٢٦
٢	وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ	وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	الأنفال	١٠

التحليل البلاغي:

تتحدث الآيتان عن موضوع واحد وهو غزوة بدر وما أنزله الله على عباده من المدد والعون والنصر المبين، بشارة وتطميناً لهم، ومع هذا فإنه قد زيد في الأولى:{لكم}، وزيادة التأكيد في الأولى:{إن الله}. وتأخير الجار والمجرور {به} في الأولى وتقديمه في الثانية؟ فما وجه كل ذلك وسره البلاغي؟

١- تقدّم في الأولى قوله:{ويأتوكم من فورهم} والإخبار عن عدوهم، فاختلط ذكر الطائفتين، وضمّهما كلام واحد، فجردت البشارة لمن هدى منهما، فجيء بضمير خطابهم متصلا بلام الجر المقتضية للاستحقاق، فقيل:{بشرى لكم}. أما آية الأنفال فلم يتقدم فيها ذكر لغير المؤمنين، فلم يحتج إلى الضمير الخطابي في لكم.

---

(١)التحرير والتنوير:(١/٥١٠-٥١١).

٢- ثم بين أن قلوبهم هي المطمئنة بذلك فقيل:{ولتطمئن قلوبكم به}، فقدمت القلوب على المجرور اعتناء وبشارة ليمتاز أهلها ممن ليس لهم نصيب(١). أما الآية الثانية فقد تقدم قبلها قوله تعالى:{وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم} فأغنى عن عودته فيما بعده اكتفاء بما قد حصل مما تقدم من تخصيصهم بذلك.

وذكر ابن جماعة وجهاً آخر أن آية آل عمران ختم فيها الجملة الأولى بجار ومجرور وهو: الجملة الأولى من آية آل عمران ختمت بـ{لكم}، فختمت الجملة التي تليها بمثله وهو قوله (به)؛ لتناسب الجملتين. وآية الأنفال خلت عن ذلك فرجع إلى الأصل وهو إيلاء الفعل لفعله، وتأخير الجار الذي هو مفعول.

وجواب آخر للوجهين السابقين، وهو: أنه لما تقدم في سورة الأنفال:{لكم} في قوله:{فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} عُلم أن البشرى لهم، فأغنى الأول عن ثان، ولم يتقدم في آل عمران مثله وأما:{به}؛ فلأن المفعول قد تقدم على الفاعل لغرض صحيح من اعتناء أو اهتمام، أو حاجة إليه في سياق الكلام، فقدم {به} هنا اهتماماً، وجاء في آل عمران على الأصل. (٢).

٣- والجواب عن التأكيد: أن آية الأنفال تقدم فيها أوعاد جليلة كقوله تعالى:{وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم} ثم قال:{ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين} ثم قال:{ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون} فهذه أوعاد عليّة لم يتقدم إفصاح بمثلها في آية آل عمران، فناسبها تأكيد الوصفين العظيمين من قدرته جلّ وتعالى على كل شيء وحكمته في أفعاله فقال:{إن الله عزيز حكيم}، ولما لم يقع في آية آل

---

(١)ملاك التأويل:(ص: ٣١٤-٣١٥).

(٢)كشف المعاني:(ص:١٣٢).

عمران إفصاح بما في آية الأنفال وردت الصفتان تابعتين دون تأكيد، وجاء كل على ما يناسب، ولم يكن عكس الوارد في تعقيب الآيتين ليناسب، وذلك واضح. والله أعلم (١).

الموضع الثاني والعشرين: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾

١	أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ	وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ	البقرة	٢١٤
٢	أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا	مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ	آل عمران	١٤٢
٣	أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً	وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ	التوبة	١٦

ثلاث آيات في ثلاث سور، جاءت الأولى والثانية بلفظ:{أن تدخلوا الجنة}، وفي الثالثة:{أن تتركوا}، وقال أيضاً في الأولى:{ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم}، وفي الثانية والثالثة:{ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم}. كما قال في الثانية:{ويعلم الصابرين}، وفي الثالثة:{ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة}. فما سرّ هذا الاختلاف ووجه تنويعه؟ قال الغرناطي:"أن وجه اختلافهما -والله أعلم- ورودها أعقاب

(١) ملاك التأويل:(ص:٣١٤-٣١٥).

قصص مختلفة، وقضايا متغايرة، فآية البقرة واردة على ما تقدمها من خطاب المؤمنين على العموم والتسوية في قوله تعالى:{يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة}، ثم حذرهم بقوله:{فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات}. وأشار الواقع جوابا من قوله:{إن الله عزيز حكيم} إلى قدرته تعالى على من زل فحاد وتنكب بعد وضوح الأمر، فكان الكلام في قوة أن لو قيل بحسب أفهامنا القاصرة: فإن زللتم فحدتم وتنكبتم عن سلوك المنهج الذي أمرتم به بعد بيان الأمر فاعلموا أنه قادر على أخذكم وعقابكم، لا يفوته هاربكم، ولا يخرج عن قهره أحد منكم عليم بما تخفونه وتسرونه ثم ذكرهم بحال غيرهم...فلما خاطبهم بهذا كله وحصل من ذلك ومن إحالة الآي على أحوال من تقدم وإشارتها إلى ما ابتلوا به، مما وضح منه صعوبة التخلص إلا بعد الصبر وتحمل المشقة مع سبقية التوفيق، أعقب بقوله إشارة إلى تسلية المؤمنين فيما يصيبهم فقال:{أم حسبتم أن تدخلوا الجنة...}...فهذه الآية أعنى آية البقرة لم يقع فيها تخصيص بغير المستجيبين المحسنين في إجابتهم لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى فناسبها الإطناب وذكر حال من تقدم من الأمم في ابتلائهم. وأما آية آل عمران فخوطب بها أهل أحد تسلية فيما أصابهم وخص فيها ذكر الجهاد والصبر ولم يقصد في الآية أخبار بغير ذلك؛ لأنها ترتيب واقعة مخصوصة، فهذا ما انفردت به واختصت عن آية البقرة، فقال تعالى:{أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين} فلم يذكر هنا غير الجهاد والصبر. أما آية البراءة فخطاب للمؤمنين ممن شاهد فتح مكة وإعلام لهم بأنه لا يكمل إيمانهم إلا بمطابقة ظواهرهم بواطنهم في ألا يقع منهم إصغاء إلى غير ما بايعوا الله عليه من الإخلاص، فلا يجحدون ولا يعتمدون من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين ما يعتمدونه موئلاً أو مرجعاً؛ فإنه سبحانه لا يخفى عليه ما أسروه وتحوم الآية على ذم من اتصف بصفة النفاق فأظهر خلاف ما أبطن، وقد تقدم قبلها ما يدل على ذلك من قوله تعالى:{يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم}، فحذر المؤمنون من هذه الصفة وعرفوا أنه لابد من ابتلائهم واختبارهم لتخلص أحوالهم وتمتاز من أحوال المنافقين وأنهم لم

يتركوا دون ابتلاء واختبار ليميز الله الخبيث من الطيب... فالمراد بالآية: أم حسبتم أن تتركوا دون اختبار يفصل بين أحوالكم وأحوال المنافقين المذكورين فيما قبل ولم تتعرض الآيتان من سورة البقرة وآل عمران لذكر نفاق بالإفصاح ولا بإيماء بخلاف آية براءة، فلما اختلفت المقاصد اختلفت العبارات في مطلع الآي وختامها بحسب ذلك والله أعلم(١).

وقال ابن جماعة في بيان ذلك:"أن آية البقرة في الصبر على ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه عليه من أذى الكفار وتسلية لهم عنه، ولذلك قال:{في الذين خلوا مستهم البأساء والضراء} ليكون الصحابة مثلهم في الصبر وانتظار الفرج. وآية آل عمران وردت في حق المجاهدين وما حصل لهم يوم أحد من القتل والجراحات والهزيمة، فوردت الآية تصبيراً لهم على ما نالهم ذلك اليوم مما ذكرناه، والآية الثالثة في التوبة وردت في الذين كانوا يجاهدون مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ويباطنون أقاربهم وأولياءهم من الكفار المعاندين لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ ولذلك قال:{وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً}(٢).

الموضع الثالث والعشرين:﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾

١	رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ	وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ	البقرة	١٢٩
٢	لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ	وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ	آل عمران	١٦٤

(١)ملاك التأويل:(ص:٢٦٣ وما بعدها).

(٢)كشف المعاني:(ص:١١٥-١١٦).

	يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ	مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ		
٣	هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ	وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ	الجمعة	٢

التحليل البلاغي:

من الفروق بين هذه الآيات تقديم:{ويعلمهم الكتاب والحكمة} في الأولى، وتأخير:{ويزكيهم}، وجاءت الباقتيان على العكس من ذلك. والجواب عنه –والله أعلم– أنه لما كانت دعوة إبراهيم –عليه السلام– قبل وجود الضلال في الذرية المدعو لها، وإنما تحصل لهم من تزكيتهم ورفع ضلالهم المتوقع وقوعه بما يمنحونه من التعليم وما يتلى عليهم من الآيات؛ لأن ذلك هو السبب في حصول التزكية والسلامة من الضلال... فتأخر ذكر التزكية المسببة عما به تحصل، وذلك بعد هدايتهم للإيمان، فجاء على الترتيب من بناء المسبب على سببه. ولما كان مقصود الآيتين الأخيرتين إنما هو ذكر الامتنان عليهم بهدايتهم بعد الضلال الذي كان قد وجد منهم أخر ذكر تعليمهم الكتاب والحكمة المزيلين لضلالهم ليكون تلوه ذكر الضلال الذي أنقذهم الله منه بما علمهم وأعطاهم وأمتن عليهم وهو ثاني المسببين، فكان الكلام في قوة أن لو قيل: ويعلمهم ما به زوال ضلالهم، وأخر في هاتين الآيتين ذكر السبب ليوصل بمسببه الأكيد هنا الذي كان قد وقع، وهو رفع ضلالهم من عظيم محنته، ولو أخر ذكر التزكية لما أحرز هذا المعنى المقصود هنا، فاختلاف الترتيب إنما هو بحسب اختلاف المقصدين، ورعى ما ذكر، فورد كل على ما يجب ويناسب. والله أعلم بما أراد(١).

---

(١)ملاك التأويل:(٢٣٥ وما بعدها).

الخاتمة

١- مازال التشابه اللفظى فى القرآن الكريم بحاجة ماسه الى مزيد عناية البلاغيين به.

٢- يعد التشابه اللفظى ضرب من التفسير لكلام الله تعالى.

٣- فى دراسة التشابه اللفظى بيان لبعض وجوه اعجاز القرآن الكريم.

٤- جاء التشابه اللفظى فى سورة آل عمران فى ثلاثة و عشرين موضعا.

الفهارس، وتشمل الفهارس التالية:

أولاً- فهرس المصادر والمراجع

ثانياً- فهرس الموضوعـــــات

أولاً- فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
- أسباب النزول للواحدي، تحقيق ماهر الفحل.
- الإيضاح في علم البلاغة للخطيب القزويني. دار إحياء العلوم -بيروت-، ط/الرابعة:١٩٩٨م.
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسى، دار الفكر-بيروت-.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل، عيسى البابي الحلبي، ط/الأولى:١٣٧٦هـ.
- البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق-، والدار الشامية -بيروت-، ط/الأولى:١٤١٦هـ.
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ط/الثالثة ١٤٠١هـ.
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور لمحمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي -بيروت-، ط/الأولى:١٤٢٠هـ.
- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي -بيروت-
- تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصرالدين الشيرازي البيضاوي، دار الفكر -بيروت.
- تفسير السعدي المسمى: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/الأولى:١٤٢٠هـ .
- تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تفسير القرآن، دار هجر، ط/الأولى.

- تفسير القرطبي المسمى: الجامع لأحكام القرآن لشمس الدين القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب -الرياض-، ط/١٤٢٣هـ.

- حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، المسماة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي لشهاب الدين الخفاجي، دار صادر -بيروت-

- سنن ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في كم يصلي بالليل؟، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر -بيروت-.

- سنن الدارمي لأبي محمد الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي -بيروت-، ط/الأولى: ١٤٠٧هـ.

- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل -بيروت- ط/الأولى: ١٤١١هـ.

- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق الدكتور عبد العلي حامد، مكتبة الرشد -الرياض-، ط/الأولى:١٤٢٣هـ

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين -بيروت-، ط/الرابعة ١٤٠٧ هـ .

- صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي -بيروت-.

- كشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين بن جماعة، تحقيق د.عبد الجواد خلف، دار الوفاء -المنصورة- ط/الأولى:١٤١٠هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشرى، دار الكتاب العربي -بيروت-، ط/ ١٤٠٧ هـ

- الكليات لأبى البقاء الكفومى، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت-١٤١٩هـ.

- لسان العرب لابن منظور، دار صادر -بيروت-ط/الأولى.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ط/ ١٣٩٩هـ.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي-بيروت-، ط/الأولى ١٤٠٣

ثانياً- فهرس الموضوعات.

ت	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة.....	٤٦٩٨
٢	أهمية الموضوع.....	٤٧٠٢
٣	خطة البحث.....	٤٧٠٢
٤	التمهيد.....	٤٧٠٤
٥	المبحث الأول: تعريف المتشابه لغة واصطلاحاً.....	٤٧٠٥
٦	المبحث الثاني: بين يدي السورة.....	٤٧٠٨
٧	اسمها وسبب تسميتها....	٤٧٠٩
٨	سبب نزولها.....	٤٧٠٩
٩	فضائلها.....	٤٧١٢
١٠	موضوعاتها.....	٤٧١٤
١١	الخصائص البلاغية فى مواضع التشابه اللفظي في سورة آل عمران	٤٧١٩
١٢	الموضع الأول:﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾.	٤٧٢٠
١٣	الموضع الثاني:﴿ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم ﴾.....	٤٧٢٣
١٤	الموضع الثالث:﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾..	٤٧٢٥
١٥	الموضع الرابع: ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ ﴾	٤٧٢٧
١٦	الموضع الخامس:﴿ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ	٤٧٣٠

	﴿ أَيَّامًا بَيْنَهُمْ مَعْدُودَاتٍ ﴾.....	
١٧	الموضع السادس:﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾.....	٤٧٣٢
١٨	الموضع السابع:﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾...	٤٧٣٥
١٩	الموضع الثامن:﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾..	٤٧٣٩
٢٠	الموضع التاسع:﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾.....	٤٧٤٠
٢١	الموضع العاشر: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾..	٤٧٤٢
٢٢	الموضع الحادي عشر:﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ ﴾...	٤٧٤٤
٢٣	الموضع الثاني عشر:﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾..	٤٧٤٧
٢٤	الموضع الثالث عشر:﴿ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.....	٤٧٤٨
٢٥	الموضع الرابع عشر:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾.....	٤٧٥١
٢٦	الموضع الخامس عشر:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾.....	٤٧٥٣
٢٨	الموضع السادس عشر: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.....	٤٧٥٤
٢٧	الموضع السابع عشر: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ	٤٧٥٧

	أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾.....	
٢٨	الموضع الثامن عشـــر:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ ﴾.....	٤٧٥٨
٢٩	الموضع التاسع عشر: ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾.....	٤٧٦٠
٣٠	الموضـــــع العشـــــرون: ﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُ ﴾.....	٤٧٦٢
٣١	الموضع الحادي والعشرون: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ ﴾.....	٤٧٦٣
٣٢	الموضـــع الثـــاني والعشـــرون: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾.....	٤٧٦٥
٣٣	الموضع الثالث والعشرون:﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ ﴾.....	٤٧٦٧
٣٤	الخاتمة	٤٧٦٩
٣٥	الفهارس	٤٧٧٠
٣٦	فهرس المصادر.....	٤٧٧١
٣٧	فهرس الموضوعات.....	٤٧٧٤